صورة المثقف
عند واسيني الاعرج
رواية مملكة الفراشة نموذجا

الدكتورة
حكيمة سبيعي
أستاذة باحثة جامعة بسكرة - الجزائر

دار الجنان للنشر والتوزيع

صورة المثقف عند
واسيني الاعرج
رواية مملكة الفراشة نموذجا

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٦/٣/١٠٨٤)

٨١٣,٩

سبيعي ، حكيمة

واسيني الاعرج رواية مملكة الفراشة نموذجا/ حكيمة سبيعي / ـ عمان:دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.

(٧٥) ص

ر.أ: (٢٠١٦/٣/١٠٨٤).

الواصفات: القصص العربية / النقد الادبي/

978-9957-594-68-8 ISBN(ردمك)

دار الجنان للنشر والتوزيع - عمان – الأردن

dar_ jenan@yahoo.com

صورة المثقف عند

واسيني الاعرج

رواية مملكة الفراشة نموذجا

الدكتورة حكيمة سبيعي
أستاذة باحثة جامعة بسكرة – الجزائر

((نحن لا نكتب إهداءا سوى للغرباء، وأما الذين نحبهم فهم جزء من الكتاب وليسوا في حاجة الى توقيع في الصفحة الاولى))

أحلام مستغانمي

مقدمة

من المعلوم أنّ الرواية تعد من أهم قنوات التواصل منذ بدأ التفكير في إمكانية وجود منطق ونموذج يمكن أن يُجسّد مختلف أنماط السرد والحكي في العام، ولأنّ الرواية هي وسيلة المثقف المعني بهموم الوطن وقضايا المجتمع، وهي وسيلته للتعبير عن أفكاره ومواقفه، ضف إلى ذلك كونها الشّاهد على حضور المثقف باستمرار إما مشاركا أو معارضا، ولأجل ذلك اكتسبت شخصية المثقف أهمية خاصة داخل المنجزات الروائية، كونها الأقرب إلى المؤلف، والأقدر في الإفصاح عن الروائي المُتخفّي خلفها، بل الأهم في كل ذلك كونها الشّاهد عما يحدث في المجتمع والأنسب لطرح أزمته.

فمن هنا حاولت هذه الدراسة الموسومة بـ"صورة المثقف في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج" أن تؤسس مشروعيتها على جملة من التساؤلات التي تُعزّز رغبة التعرّف وتمنح البحث إطارا للمشكلة التي يتصدّى لحلها فمن هو المثقف ؟ وما هي المهمة التي يضطلع إليها ؟ وكيف كانت صورته في الرواية محل الدراسة ؟ هل استطاع المثقف أن يرصد لنا واقع وأزمة مجتمعة ؟ وهل كان الروائي بوصفه مثقفاً يرسم صورته ويُعبّر عن محنته فيهرب إلى فضاء المتخيل ليفصح عن مخاوفه ويُعبّر عن آماله وطموحاته ويطرح مشروعه فيجهر بالقول ؟ كل هذا وغيره سنحاول تسليط الضّوء عليه من خلال هذه الدراسة.

هذا وقد كانت هناك عدة أسباب وقفت وراء اختيارنا لهذا الموضوع وهي اطلاعنا على بعض الكتب التي تناولت شخصية المثقف فولّدت فينا فضول البحث أكثر في هذا الموضوع، هذا من جهة ومن جهة أخرى كون النّص الروائي حديث الولادة وله سياقاته الخاصة، كما أنّ كاتبه مثقف مُتميّز وروائي له خصائصه المتميزة الأمر الذي عزّز فينا أكثر رغبة الإنجار في هذا البحث.

ولّما كان لكل دراسة مجموعة من الأهداف تنشدُ الوصول إليها فإنّ هدفنا هذه الدراسة هو تسليط الضوء على شخصية المثقف التي كان لها حضورها المُتميز في النصوص الروائية، وكذا تبيان دور المثقف في تعرية المناطق الغامضة والمظلمة في الذات

الإنسانية، وكيف يسعى دائما إلى الحفر والنبش في أعماق المجتمع فاضحا لكلّ الزيف الخارجي، وكاشفا عن كل أنواع العلل هادفا في كل ذلك إلى التوعية والإصلاح والتغيير.

ومن هنا فإن توزيع البحث جاء في تمهيد وفصلين حيث احتوى التمهيد على إطلالة حول الرواية ثم عرّجنا إلى الشخصية باعتبارها أهم عنصر تقوم عليه الرواية، وركّزنا على الشخصية المثقفة لأن الروائي يوليها من العناية الكثير، ذلك أنّها المُقربة إليه والعاكسة لأفكاره ومواقفه وآماله، وصولا إلى الروائي واسيني الأعرج كونه مثقفا.

هذا وينفتح الفصل الأول بتعريف لمصطلح الثقافة، وكذا مصطلح المثقف، وعرضنا لأنواع المثقف، وانتهينا إلى دوره في المجتمع، وقد جاء الفصل كلّه استجابة لإلحاح المادة العلمية المُصاحبة لمصطلح المثقف، فحاولنا قدر جهدنا الوقوف على مُجمل في حين جاء الفصل الثاني حول صورة المثقف من خلال الرواية حيث عرضنا فيه للمثقف في المجتمع، وما هي الأزمة التي يحاول أن يرصدها لنا، كما قدمنا عرضا عن أهم الشخصيات المثقفة، وكيف كانت صورتها ومدى حجم معاناتها وما هو مصيرها، ثم تطرقنا إلى المثقف وفساد السلطة حيث عرضنا لتلك العلاقة الصدامية بين المثقف والسلطة، كما عرضنا لأهم قضايا الفساد التي كشفها المثقفون ومن خلفهم الروائي كواحد منهم، وتطرقنا إلى عنصر آخر وهو تهميش المثقف وهي الحالة التي انتهى إليها كل المثقفون، وختاما لعنصر المثقف والعالم الافتراضي/ الفيسبوك، وكيف يكشف لنا النص الروائي عن زيف هذا الموقع وموقف المثقف منه.

وفي سبيل الوصول إلى الأهداف والقدرة على الإجابة على مُجمل التساؤلات المطروحة، وتحقيقا للضبّط المنهجي كان من الأنسب لنا أن نعتمد المنهج الوصفي التحليلي، وهذا لا يعني ترهين البحث لمعمار نقدي ثابت بل هو مفتوح على شتى المناهج حسبما تقتضيه طبيعة الدراسة وخصوصية النص الروائي.ولقد كان لنا في هذا البحث مجموعة من المصادر والمراجع المعتمدة وقد كان أولها رواية مملكة الفراشة للروائي واسيني الأعرج التي رافقتنا وكانت عونا لنا طوال مسيرة هذا البحث، وبذلك كانت المصدر الأساسي في بحثنا هذا، إضافة إلى مجموعة من المراجع الأخرى نذكر منها:

- كتابة تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث للدكتور محمود محمد أملودة.
- كانت شخصية المثقف في الرواية العربية السورية للكاتب محمد رياض وتار.
- كتاب إشكاليات الثقافة والمثقف في عصر العولمة لصاحبه أحمد مجدي حجازي.

وككل بحث دائما هناك صعوبات تعرقل مساره، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا هي قلة المراجع والدراسات التطبيقية التي تناولت موضوع المثقف هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كون النص الروائي المدروس منفتح على جميع المعارف الإنسانية، ويستدعي كم هائل من النصوص والخطابات والأشكال التعبيرية المختلفة، هذا بصرف النظر عن القدرة الإبداعية التي يتميز بها الروائي واسيني الأعرج، وهذا يستوجب منّا الاعتراف أنّه ليس من السهل اقتحام عالم رواية مثل رواية مملكة الفراشة، بل إن محاولة تحليلها واستنطاقها تُعدّ مغامرة بحد ذاتها لأنها تجربة إبداعية حافلة تتميز بنوع من الاستثناء.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه إلى رب العزة شاكرين له راجين منه التوفيق والسداد.

تمهيـــد

تُعد الرواية نوع سردي يقوم على استيعاب مختلف الأجناس والأنواع وتحويلها، وهنا تكمن إنتاجيتها، إنّها منفتحة على الزمان وعلى الإبداع، وهذا الانفتاح هـو مصـدر فنّيتها وإبداعيتها، سواء تحقّق ذلك من خلال معالجتها للحدث في التاريخ السّحيق أو في الواقع المعيش أو المستقبل الممكن أو المتخيـل. إنهـا "إنتـاج لغـوي بالدرجـة الأولى أي أن وسيلة التعبير فيها هي الكلمات والأنساق اللغويـة بصـفة عامـة، فاللغـة ليسـت وسـيلة فحسب بل غاية أيضاً في العمل الأدبي."[1]

إنّ الروايـة معرفـة، ولكنهـا معرفـة لا توضـع بشـكل سـخيف علـى لسـان الشخصيات، ولا يتم تداولها من خلال الحوارات أو تعاليق السـارد أو أصـوات أخـرى، إنها رؤية تخص نسيج العلاقات الإنسانية والأشـياء، وتخـص صـياغة الوضـعيات ونمـط تصورها، إنها بعبارة أخرى تجسيد فضائي وزماني للمعاني لا يوضع المعنـى عاريـا علـى شفاه الشخصيات، ولكنه يولد من خلال التعليق على الحدث وتصـوير الشـيء وطريقـة رؤيته ووصفه وتداوله.

والحديث عن الرواية يقودنا إلى الحديث عن الروايـة الجزائريـة الـتي بلغـت أوج تنوعها اللساني والفني في القرن العشرين نتيجة تطور الموروث الأدبي وانفتاح واقعه على العالم الخارجي، ولذلك أصبحت تكتنفها إشكالات كثيرة منها ما يتعلق بالتاريخ ومنها ما يتعلق بالمجتمع، ومنها ما يتعلق بالثقافة، وغيرها من القضايا التي أصبحت الرواة الجزائرية تثيرها في الأواسط الثقافية والفكرية والعلمية الأمـر الـذي جعلـها تخلـق لنفسـها مكانـاً متميزاً في الساحة الروائية العربية، ذلك أنها مثلت تمثيلاً صادقاً الحياة الثقافيـة للمجتمـع الجزائري، وعملت على تعرية ذلك الواقع المعيش وفضح تلـك المـؤامرات الـتي خنقـت الإنسان وطوّقته ساعية إلى محاولة تغيره.

---

[1]- **آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١١، ص ٨٥.**

ومن أهم العناصر التي تقوم عليها الرواية لتحقيق الهدف المنشود نجد الشخصية التي تحتل مركزاً هاماً في بنية المنجزات الروائية كونها "تمثل العنصر الفعّال الذي ينجز الأفعال التي تمتد وتترابط في مسار الحكاية هدفها الجوهري ربط أحداث القصة لإتمام المعنى"[1]، وتتأتى للشّخصية أهميتها بوصفها عنصر أساسي في الرواية من خلال اهتمام الرواية بتصوير الواقع الإنساني والذي تُشكل فيه الشخصية" العمودي الفقري، والقوة الواعية التي يدور في فلكها كل شيء في الوجود، وقد جعل هذا المركز الهام الذي تبوأته الشخصية في الرواية أحد النقاد الذي يُعرّف الرواية بأنها "قصة لقاء الشخصيات بعضها مع بعض وإخبار بالعلاقات التي تنشأ بينها"[2].

في الحقيقة لا توجد رواية من دون شخصيات، ولا يمكن لها أن تكون لأن الشخصية هي التي تقود الأحداث، وتنظّم الأفعال، وتُضفي على الرواية نوعاً من التميّز وذلك حسب نوعية الشخصية وطبيعة الموضوع الذي تطرحه ومن ثم فهي "ركيزة الروائي الأساسي في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وواقعيتها وتفاعلاتها، فالشخصية هي أولا وأخيراً من المقومات الرئيسية للرواية، والخطاب السردي بصفة عامة"[3]

إنّ الكاتب يخلق شخصياته ويُلصق بها أقدارها، ويجعلها تسعى وتناضل، وتشقى وتموت، فهو يصوغ أفكاره وقضاياه ويطرحها عن طريق الشخصية، ثم إنّ الشخصية فوق ذلك تعتبر "العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية

---

[1]- آسيا جريوي: سيمائية الشخصية الحكائية في رواية الذئب الأسود للكاتب: حنّا مينا، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، منشورات المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٠، ص ٢٤٧.

[2]- محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠، ص ١٦٥.

[3]- إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠، ص ١٧٣.

الأخرى، بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي واطّراده"[1]، هذا علاوة على كونها "نقطة تجميع يلتقي فيها الداخل مع الخارج ويوليها الكاتب عناية كبيرة"[2].

ومن بين الشخصيات التي باتت تطرح نفسها بقوة نجد شخصية المثقف كونها، الأقرب إلى المؤلف باعتباره مثقفا، والأقدر على طرح واقع المجتمع الإنساني، ضف إلى ذلك تميزها عن غيرها من الشخصيات باعتبارها "ممثلة لدائرة الوعي الفاعل داخل المجتمع ومن ثم فهي المقياس الحسّاس المنعكس عليه حركة الواقع سلبا أو إيجابا"[3]، ثم إنّ عظمة الروائي تقاس أحيانا بقدرته على خلق الشخصيات وكما يقال: "الرّوائي الجيّد هو الذي يستطيع أن يبتكر ويبدع في رواياته شخصيات جديدة"[4].

ومن ثمّ يمكن أن نقول أيضا إنّ ثقافة الكاتب تقاس بثقافة شخصياته، ولمّا كانت المهمة المُلقاة على عاتق الروائي كبيرة ومعقدة وذات قيمة فنية وأخلاقية وثقافية وحضارية يعمل فيها على تصوير المجتمع وتجاوز رداءة ووضاعة وبؤس الواقع الاجتماعي، فقد وجب أن تكون الشخصية الحاملة للواء هذا الهدف أن تكون شخصية مثقفة لأنها هي الحاملة للحدث والمنفعلة به وتتخذ من اللغة هويتها، "وتنتهي بصراعها مع الرّاوي وسرديته ضيقا واتساع، حضورا وغيابا، والأهم قدرتها على طرح نفسها أمام القارئ بحيث لا يُحس أنه دمى يحرّكها الكاتب، أو صوت باهت، أو بوق يصدح بمبادئ حاملة وأهدافه."[5]

---

(1)- محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، ص ١٦٥.

(2)- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث (الرواية الليبية أنموذجا دراسة في النقد الثقافي)، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ٢٠١٠، ص ١.

(3)- حسن أحمد علي الأشلم: الشخصية الروائية عند خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العام، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦، ص ٢٣٧.

(4)- إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، ص ١٧٣.

(5)- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص ١،٢.

فلا مناص إذن من أن الشخصية المثقفة هي وحدها الشّاهد على ما يحدث في أواسط المجتمع، وهي الأقدر على طرح مشاغله ومشاكله، فهذا السعي إذن في التغلغل في الباطن من أجل معرفته، وهذا الحفر والنبش المستمر في طبقات المجتمع قصد سبر أغوار مشاكله هو أمر بالغ الأهمية للذي يبحث عن الحلول، فليس المهم في الرواية أو في أي عمل آخر طرح القضايا والمشاكل والأزمات التي أثقلت كاهل الإنسان والمجتمع، بقدر ما هو مهم اقتراح حلول له وكيفية تغييره، وهذه هي مهمة المثقف لأنه "يحمل وعيا تاما وقناعة ثابتة بضرورة التغيير انطلاقا من إيديولوجيته التي تتجلى أهميتها في كونها أداة التغيير الاجتماعي ورافعة له"[1].

لذلك وجب القول إن المثقف هو ذات فاعلة مؤثرة ومتأثرة، وساعية إلى تغيير واقع المجتمع وتطويره "ولعلّ رغبتها في التغيير تشكل شرطاً مُهمّا في إحداث التغيير، ولا تتحقق هذه الرغبة من غير قيامه على نقد الواقع، والعمل الدّائم على تطويره نحو الأفضل، فإذا كفّ المثقف عن نقد الواقع أخذ في الإضمحال والتلاشي"[2].

وإنّ فعل التغيير في حدّ ذاته ما هو إلا تأويل لما هو واقع في المجتمع، ولأجل ذلك فإن هذا التأويل لا يعكس إلا ذاتا مثقفة لأنها هي التي ترى وتستوعب الواقع وتشعر بوطأته أكثر من أي إنسان آخر، ولا يتأتّى لها هذا إلاّ من خلال ثقافتها فـ"ثقافة المرء هي وجهة نظره"[3]، وهي الخلفية المعرفية التي ينطلق منها المثقف لتطوير ذاته أولا ومن ثم مجتمعه الأمر الذي يدفعنا للقول بأن صلاح أي مجتمع يتوقف على صلاح أفراده، فما بالك لو كان هذا الفرد مثقفا يحمل على عاتقه أمانة توجيه الرأي العام والدفاع عن الحق والحقيقة، والحفاظ على مصلحة المجتمع ومستقبل البشرية.

---

[1]- علجية مودع: هامشية المثقف ورهانات السلطة قراءة في مشروع "الطاهر وطار" الروائي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة الأدب الجزائري، دار الهدى، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٠، ص ٢٣٧.

[2]- صلاح جرار: المثقف والتغيير قراءات في المشهد الثقافي المعاصر، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٧.

[3]- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص ٤٢.

وتبعا لهذا برزت أهمية الرواية كنجس أدبي مُحارب للواقع ومناقض للراهن، فلو نقف قليلا عند واقع الكتابة الروائية الجزائرية الهادفة إلى التثقيف والحاملة للواء المعرفة فسنجد جملة من الكُتّاب الذين يمثلون دور المثقف الجزائري العربي الذي يستخدم أقوى السّبل لنيل مراد التغيير، وفي طليعتهم المثقف الجزائري "واسيني الأعرج" الذي له قلمه المُميّز والحاضر في عمق المشهد الثقافي العربي الجزائري، وهذا ما جعله ظاهرة مُنفردة في الساحة الثقافية الجزائرية من خلال إبداعاته الغزيرة التي جعلها بمثابة جسر اتخذه لينقل عليه أفكاره ومواقفه في رسائل مشفرة حينا ومكشوفة حينا آخر.

الفصل الأول
ضبط بعض المصطلحات

إنّ المشكلة في تحديد أي مصطلح في العلوم الإنسانية تحديداً نهائيا تبقى مطروحة في كل السجلات والنقاشات، وبخاصة إذا وضعنا في الحسبان أن المصطلحات لا تثبتُ على حال فهي متغيّرة من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى آخر.

ومن بين هذه المصطلحات نجد "الثقافة" و"المثقف" والتي شغلت اهتمام نفر من العلماء كونها أكثر تغييرا واختلافا بين الأمم، ولم تكتسب إلى اليوم مدلولا واضحا ومحددا يعبّر عنها بدقة وعلى اعتبار أنه لا وجود للثقافة بدون مثقف،وبدون الثقافة لا وجود للمثقف فقد ارتأينا إدراج عنصر الثقافة في هذا الفصل.

١- الثقـافة:

لا يكاد يُعقد تجمّع ثقافي أو فكـري إلاّ وموضـوع الثقافـة في الصـمّيم، ذلـك أن الثقافة تمس الحضارة في أساسها، فكان لابد من المناقشة حولها، ضد شغل هـذا الموضـوع بال كل المفكرين، وتجاذبوا أطراف الحديث حوله بين أخذ ورد.

وقد ساد الاعتقاد لدى بعض المفكرين والعلماء أن معنى الثقافة يختلف من صعيد لآخر، فمنهم من يعرّفها بأنهـا "تـاريخ انجـازات الإنسـان علـى مـدى التـاريخ، وتصـوير لعلاقته مع الكون وما فوق الطبيعة (...)، الثقافة هي عبارة عن طريـق خـاص يميّـز امـة بعينها عن غيرها"[١]، وهذا يعني أن الثقافة في حقيقتها هي الصورة الحية للأمة.

ومنهم من يرى أنّ الثقافة هي "حصيلة معلومات متنوعة وأساليب في التفكير تتسع وتضيق بحكـم ارتباطهـا بقضـايا الإنسـان عمومـا، وبمـا يتصـل بذاتيـة وحـالات الهويـة خصوصا"[٢].

أي أنها تتمثل في جُل ما يكتسبه الإنسان من معارف نظرية وخـبرة عمليـة تحديـد طريقته في التفكير، وتعكس مواقفه في مختلف طرق الحياة، ضف إلى ذلـك كونهـا عمليـة متجددة على الدوام ولا تنتهي، الأمر الذي يجعلها ظاهرة إنسانية متعددة الأبعاد وطريقة في التصوّر والسلوك، وطابع للنشاط والحياة، إنّ الثقافة هي "التعـبير عـن العـالم الفكـري للأمة الذي تكوّن عبر التاريخ، وعكس إسهامات مختلف فئات الشعب."[٣]

أي أنّ الثقافة هي تعبير عن مظاهر الرّقي العلمـي والأدبـي والفنّـي والاجتمـاعي والسياسي والاقتصادي والتي هي نتاج ما صنعه الإنسـان عـبر التـاريخ تحقيقـا لأهـداف أمته.

---

[١]- إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربية المعاصر (عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن- فرجينيا، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٢٢.

[٢]-المرجع نفسه، ص ١٤٢.

[٣]- إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، ص ١٢٦.

ويـذهب آخـرون إلى أن الثقافـة هـي "ذلـك الكـل المركـب الـذي يضـم المعـارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون، والعرف وكـل المقدسـات والعـادات الأخـرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين." [١]

ومعنى هذا الكلام أن الثقافة هي مجموعة من الحقائق الاجتماعيـة، ومجموعـة مـن العناصر التي تتعلق بكل طرق الـتفكير والشـعور، والسـلوك المُقولبـة في قواعـد يمارسـها الأفراد بصورة رمزية تميّزهم عن غيرهم.

ومن المُهم جدّا أن نؤكد على حقيقة مفادها أنّ الثقافة لا تقف عند حـدود درجـة من العلم يحقّقها الفرد، كم لا تقف عند درجة من التقدم يحقّقها المجتمع، وإنمـا الثقافـة في حد ذاتها ما هي إلا شخصية الإنسان، نعم إنها شخصية الإنسان بكل ما فيه فرداً كان أم جماعة، بكل مقوماته وبكل ميولاته ورغباته، وبكل عاداته وتقاليـده، بـل إنّ الثقافـة هـي "أسلوب حياة" بحيث يمكننا أن نميّز المجتمع الذي ينتمي إليه الشخص من خلال سلوكاته.

إن الثقافة في كل مكان وفي كل زمان، وفي كل مجتمـع وفي كـل عصـر مـا هـي إلا "مجموعة من المعارف والمهارات التقنية والذهنية وأنماط من التصـرّف والمخالفـة الـتي تميّـز شعبا عن سواه من الشعوب"[٢]، أي أنها مجموعة من الخصائص الحقيقية الـتي تميّـز جماعـة بشرية عن غيرها وهي أيضا "البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعـدل، وكـل القيم التي تُصلح الوجود الإنساني وتُهذّبه وتقوّم اعوجاجه (...) إنّها مفهوم يفتح البـاب على مصرعيه أمام ملكة العقل البشري، وعلى كل المعارف النافعة والصالحة." [٣]

وتكتسب الثقافة أهميتها في كونها مصدر التوجيه لسلوك الفرد والمجتمـع والدولـة والحضارة، كما أنها سرّ من أسرار الأمة، وعماد وجودها وركيزة كيانها، فليس غريبـا أن تعمد القوى المستعمرة إلى اتخاذ أسـلوب القتـل الثقـافي للشـعوب المغلـوب علـى أمرهـا

[١]- **كريم زكي حسان الدين: اللغة والثقافة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠١، ص ٦١.**

[٢]- **المرجع السابق، ص ١٢٩.**

[٣]- **إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، ص ١٢٩**

وسيلة لدعم انتصارها، وهو الأمر الذي يجعلنا نؤكد أن الثقافة حقا هي "ركن من أركان الكيان الحضاري للأمة"[1]، وذلك من خلال ربطها بين الماضي والحاضر والمستقبل صانعة بذلك الهوية المميّزة للأمة العربية، وفقدانها هو فقدان لهوية الأمة ككل وذوبان لشخصيتها، وكيف لا وهي وسام العز والمجد والكرامة، وبفقدانها تنتهي الأمة إلى الجهل والاضطراب والتخلف على اعتبار أن التخلف هو ضعف ثقافي بالدرجة الأولى.

حقيقة إننا أمما تعريفات عديدة تتخبّط من هذا إلى ذاك، ولكن إذا ما بسّطها الأمر قليلاً، واكتفينا بالحديث عن الثقافة كمفهوم حديث فلربما أمكننا القول بأن الثقافة في أبسط تعريفاتها وأدقها هي ذلك المخزون الحي في الذاكرة المكوّن من مُحصّلة العلوم والمعارف والأفكار والمعتقدات، والفنون والآداب والأخلاق والقوانين والأعراف والتقاليد وكل المدركات الذهنية والحسّية والموروثات التاريخية واللغوية والبيئية التي تصوغ سلوك الإنسان في الحياة، "فبقدر ما تزدهر الثقافة يزدهر المجتمع، ومن ثم تزدهر الأمة."[2]

إنّ الثقافة بكل معانيها ما هي إلاّ القالب الذي يتشكل فيه الإنسان منذ لحظة ميلاده، وحتى مماته، إنّه يولد ويعيش ويموت من خلال أنماط ثقافية محددة.

٢- المثقف:

أ- لغة:

إن جذر كلمة مثقف هو: ث ق ف ففي معجم لسان العرب يقول ابن منظور: "ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة: حذقه، ورجل ثقِف، وثقَف: حاذق فهم، ويقال: ثقف الشيء وهو سرعة التعلم، وثقف الرجل ثقافة أي حاذقا حفيفا"[3].

---

[1]- **المرجع نفسه، ص ١٤٥.**

[2]- **المرجع نفسه، ص ١٤٦.**

[3]- **أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (ثقف)، مج٩، ط٣، ١٩٩٤م، ص ١٩، ٢٠.**

وجاء في القاموس المحيط: "ثقف، يثقف، ثقفا، وثقافة: صار حاذقا فطنا، ومنه: ثقف الكلام: حذقه وفهمه بسرعة، وثقف الرّمح: قومه وسوّاه، وثقف الولد: تهذب علمه، ثاقفه مثقافة: غلبه في الحذق."[١]

ولقد وردت مادة "ثقف" في معاجم اللغة بمضمونين الأول حسّي، والثاني ذهني تجريدي "وهذا لوجود علاقة بين المضمونين تتحدد بالمقابلة بين معني: الأول المهارة في القتال، ويقابلها المهارة في الفهم، والثاني فهو استقامة الرمّح ويقابله استقامة الرجل المثقف أو الثقف."[٢]

وهذا إذا دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ العرب كانوا لا يطلقون على الرجل صفة المثقف أو الثقف إلاّ إذا توفرت فيه صفتان "الأولى فيزيولوجية وهي المهارة في الفهم وحدّة، الذكاء، الثانية أخلاقية وهي الاستقامة والتهذيب."[٣]

كما وردت مادة "ثقف" في القرآن الكريم ولكن ليس بالمعنى المتعارف عليه وإنما بمعنى (وجد)، وذلك في قوله تعالى: "واقتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم، والفتنة أشد من القتل، ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاءا للكفارين."[٤]

وهذا يعني أنّ استخدام "المثقف" في معناه المتعارف اليوم استخدام حديث في اللغة العربية، فلا وجود له في كتب المعاجم ولا في كتب التاريخ، ولا حتى في القرآن الكريم كما يرى الباحثون.

---

[١]- **محمد ابن يعقوب ابن محمد إبراهيم ابن عمر الشرازي مجد الدين أبو طاهر الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، مادة (ثقف)، مج١، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٦٢.**

[٢]- **محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، ص ١٢.**

[٣]- **المرجع نفسه، ص ١٢.**

[٤]- **سورة البقرة: الآية ١٩١.**

ب- اصطلاحاً:

إنّ الاحتكام إلى المفهوم العام لكلمة (المثقف) يحيلنا إلى متاهة كبيرة من التعريفات، ومن ثم الاستعمالات، فقد أثار جدلا كبيرا بين الباحثين ذلك أن "مفهوم المثقف مرن مُتعدد المعاني، قابل لكل استعمال."(1)

وقبل أن نعرّ إلى مفهوم المثقف لابد لنا من التعرّف على السياق التاريخي الذي ولّد هذا المصطلح، ذلك أن للمثقف تاريخ كغيره من المقولات والموضوعات التي تتسم بالتاريخية، وتاريخ المثقف مرتبط بقضية دريفوس (DREYFUS) "أين حدث صراع اجتماعي وسياسي في نهاية القرن التاسع عشر في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة، أين اتُّهم بالخيانة النقيب (ألفريد دريفوس)، وهو فرنسي الجنسية، ويهودي الديّانة هزّت هذه القضية المجتمع الفرنسي خلال اثنتي عشر عاما من ١٩٩٤ وحتى ١٩٠٦، وقسّمته إلى فريقين: المؤيدين لدريفوس مقتنعين ببراءته، والمعارضين له معتقدين أنه مذنب، وفي عام ١٩٨٨ كشف **إميل زولا** هذه القضية ونشر مقالته بعنوان "**أنا أتهم**"، ومنذ ذلك التاريخ منحت شهادة ميلاد لمصطلح "**المثقف**" مباشرة بعد بيان المثقفين الشهير."(2)

فميلاد المثقف كان "نتاج هذا السجل الإيديولوجي في المجتمع يقوده نخبة من الجامعتين والأدباء والعلماء، والفنانين قصد الدّفاع عن قضية أو شجب السلطة."(3)

وعليه فإن مصطلح "المثقف" وُلد في لحظة ضمير إنسانية أصرّ فيها الأدباء وعلى رأسهم "إمليل زولا" والذي فتح تحقيقا، وأثبت براءة المتهم.

وينبغي أن لا يغيب عن البال أن مصطلح "المثقف" متعدد المعاني ولا يثبت على حال، إنّه مصطلح مراوغ ومتبدل، وغير مستقر ويصعب الإمساك به، فمنهم من يرى أن

---

(1)- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص ٢١٩.

(2)- ينظر: قضية دريفوس، يوم الخميس ٢٠١٥/٠٢/٢٧، الساعة ٠٩:١٨.
ar :Wikipedia.org/wiki/.

(3)- محمد شوقي الزين: الذات والأخر (تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع)، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠م، ص ٩٠.

المثقف هو "ذلك الشخص الذي يملك فإن الإتقان والإبداع والإنماء المعرفي في مهنته وقادر على نشر إذاعته بين الآخرين مثل الأدباء والشعراء والكتاب والفنانين والإعلاميين والمفكرين، والنقاد، وأساتذة الجامعة، هذا على صعيد المعرفة النظرية، أما على صعيد المعرفة التطبيقية فإنه يضم المهندسين وممارسي الطب البشري والحيواني."[١]

ومعنى هذا أن المثقف يشمل صاحب الإبداع المعرفي النظري والتطبيقي على السّواء، وهذا هو التعريف الأولى لمفهوم المثقف.

وهناك من يرى أن المثقف هو "رمز النضال والمساومة منظورا إليه على أنه حامي الهوية، وحارس الرأسمال الرمزي للمجتمع (...) المثقف هو قراءة البنية التنظيمية والمؤسسة للأفكار في الاقتصاد والسياسة والثقافة."[٢]

غير أن الحقيقة التي جيب تأكيدها هي أنّ المثقف ليس كل من أتقن القراءة والكتابة، أو أكمل تعليمه أو تحل على شهادات عليا، وإنما المثقف هو ذلك الإنسان "الذي يمتلك الوعي الاجتماعي والثقافي الذي يُمكّنه من رؤية مجتمعه وقضاياه من منظور نقدي وتاريخي ويفرض على صاحبه دورا اجتماعيا ملموسا في إحداث الأثر المطلوب."[٣]

فالمثقف هو "الذي يساهم في تنمية الوعي الثقافي وتنمية وتعبئة موارد المجتمع لخوض معركة التنمية الشاملة، فهو أداة للتنوير، وأداة لكشف الوعي الكاذب"[٤]، إنه المفكر الواعي على الخلق والإبداع لتنمية مجال الفكر الجدلي المستقل.

إنّ مصطلح المثقف وفق ما سبق يعني ذلك الشخص "الذي يتابع ما يجري في المجتمع المحلي والعالمي من أنشطة عملية وفكرية راصدا ما ينتج عنها من أحداث ومشكلات جوهرية، محلّلا نتائجها، مدركا أثرها في حياة الناس (...) متبصّرا بما يُحدثه

---

[١]- **معن خليل العمر: علم اجتماع المثقفين، دار الشروق، عمان، ط١، الاردن، ٢٠٠٩، ص ٢٤.**

[٢]- **المرجع السابق، ص ٨٥.**

[٣]- **إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، ص ١٦٩.**

[٤]- **نفس المرجع السابق، ص ١٦٩.**

ذلك كله في المجتمع مت تطور وتغيير إيجابي نافع أو سلبي ضار مراعيا في الحكم عليها المصالح الوطنية العليا والقيّم الإنسانية النبيلة".[١]

فإذا سلّمنا بأن المثقف هو نتاج للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وأنّه لا يرى ذاته إلا في هذا المجتمع، فإننا نقول إنّ مصالح المثقف وأماله لا تتحقق إلا بصلاح المجتمع فإذا كان "**النّحل لا يعطي عسلا في غير الظروف والشروط المناخية والصحيّة والغذائية المعروفة، فلا يحقّ لأحد عاقل أن يشكو من فقدان العسل قبل أن يعرف الظروف المعيشيّة للنصل في عالم الحشرات**"[٢]، والمثال نفسه ينطبق على المثقّف على اعتبار أن رُقيّه مرهون برقي المجتمع، وقوته وحريّته تتعزّز بوجوده في هذا المجتمع، إنّه "فردوسه الأرضيّ المنشود، برغده ورفاهيته يسعد ويحسّ من نفسه رضى واكتفاء".[٣]

إنّ المثقّف الحقيقيّ هو المفكّر الحقيقيّ،ولا يوجد مفكر حقيقي بدون دافع حقيقي، وإنّ المثقّف الحقيقي هو الذي يزيل القناع عن الوجه الحقيقي للإنسان والحياة والمجتمع ككل، ويقدّمه لنا في شكل رؤية متكاملة نابعة من الواقع، ولأجل ذلك وجب أن نقول إنّ المثقف الحقيقي هو من "يمتلك رؤية واسعة يترجمها إلى سلوك وممارسة تهدف إلى التغيير والتطوير وخدمة المجتمع، لذلك لابد أن يكون في سلوكه ممثلا ونموذجاً للناس، ولابد أن يكون صاحب رؤية وموقف من الأمور تميّزه عن غير المثقف".[٤]

وعلى العموم يمكننا أن نقول بأنّ المثقف هو من "يمتلك معرفة تحيط بواقع اليوم وروية تستطلع عالم الغد، وقدرات فكرية توظّف معرفة اليوم في تغيير الواقع وبناء عالم لمستقبل أفضل".[٥] بل إنّ المثقف في كل ذلك إنما هو "وارث العلماء والأنبياء والأساقفة

---

[١]- حبيب يوسف مغنية: في الأدب الحديث والثقافة، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص ٢٩٦.

[٢]- أحمد بن نعمان: هذه هي الثقافة، شركة دار الأمة، برج الكيفان-الجزائر، دون طبعة، دون سنة، ص ٩.

[٣]- حبيب يوسف مغنية: في الأدب الحديث والثقافة، ص ٢٩٧.

[٤]- صلاح جرار: المثقف والتغيير، ص ١٦.

[٥]- حبيب يوسف مغنية: في الأدب الحديث والثقافة، ص ١٦٩.

والأئمة في العصور الغابرة والذين اعتنوا بالحفاظ على الحقيقة والقيّم المقدّسة والمؤسّسة لهوية المجتمع والتي تُديره رؤيته لذاته وللوجود".[(١)]

واستنادا إلى ما قدّمناه من تعاريف نقول إن المثقّف في نهاية المطاف هو "كما تراه لغتنا العربية (الحاذق الفهم) أي العالم بالحقيقة، والمدرك لطبائع الأشياء ولمآلها والقادر على معرفة الدّاء واكتشاف الدّواء لإصلاح ما فسد في الحياة، وتسوية ما اعوجّ منها".[(٢)]

وفي اعتقادنا أنّ هذا التنوع والتعدّد في التعاريف لمصطلح المثقّف عائد إلى عدم وضوحه لدى المفكرين بشكل كاف، وربما يدل على أن هذا المصطلح مهم شغل الهم إلى درجة كبيرة، الأمر الذي جعلهم يعطونه كل هذه التعاريف.

٣- أنواع المثقف:

لقد ميّز أنطونيو غرامشي[(*)] بين فئتين متمايزتين من المثقفين الأولى أطلق عليها المثقّف التقليدي، والثانية نعتها بالمثقف العضوي.

أ. المثقف التقليدي:

إنّه حسب غرامشي ذلك المثقف الحيّادي نوعا ما والغير ملتزم بأي شيء كما أنه يعيش خارج المجتمع وطبقاته ويرفض أن ينتمي إلى أية طبقة معينة، ويضم رجال الدين والفلاسفة والمحامين والإداريين والمهندسين والمعلمين... وغيرهم من الذين يكرّسون أنفسهم لأداء العمل نفسه من جيل إلى جيل "ويتميّزون بقدرتهم على الاستمرار والتواصل لقوة أفكارهم وكفاءتهم ولا يرضون التراجع عن قيّمهم ومبادئهم حتى لو بقوا معلّقين بدون أرضية طبقية يرتكزون عليها".[(٣)]

---

(١)- محمد شوقي الزين: الذات والآخر، ص ٨٦.

(٢)- حبيب يوسف مغنية: في الأدب الحديث والثقافة، ص ٣٠١.

(*)- أنطونيو غرامشي: فيلسوف ومناضل ماركسي ولد عام ١٨٩١، هو صاحب الفكر السياسي داخل الفلسفة الماركسية والفلسفة البراكسيسية، له عدة مؤلفات منها: مجلة النظام الجديد ١٩١٧، دفاتر السجن ١٩٣٧.

(٣)- غنية بوحرة: المثقف والصراع الايدولوجي في راوية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة لـ: أحميدة عياشي، محمد منصوري، ماجستر، قسم الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر، ٢٠١٢م، ص ٢٧.

أي أنّهم ينزعون دائما إلى البقاء في مكانهم دون أن يغادروه بدرجة أو بأخرى، حيث يقومون بالعمل نفسه عاما بعد عام، "إنّهم يقدّمون أنفسهم ويصّورون ذواتهم على أنهم مستقلّون عن الطبقات الاجتماعية، ويؤكدّون في خطاباتهم وتصوراتهم على كونهم استمرارية تاريخية لعصور الفلسفة الذهبية ورجالها كسقراط وأفلاطون".[1]

ومعنى هذا الكلام أن المثقف التقليدي يعتبر نفسه مستقلا عن الطبقات الحاكمة، ويربط الماضي بالحاضر كعملية مستمرة، وقد عرّف غرامشي المثقف التقليدي بأنه "المثقف الذي يوظّف أدواته الثقافية للعمل على استمرار هيمنة الكتلة السائدة المكونة من الإقطاعيّين والبرجوازيين".[2]

أي أنهم يعملون دائما للحفاظ على الطبقة المحافظة والتي آلت دون شك إلى الزوال، ويؤمنون بالثبات والاستقرار وعدم التغيير.

ب. المثقف العضوي:

هو ذلك المثقف الإيجابي المتميّز الذي يملك ثقافة واسعة ومتنوعة يسعى إلى نشرها بين أفراد المجتمع من أجل التحليق بهم إلى فضاءات أرقى يتجاوزون فيها تخلّفهم، إنه مثقف دائم الاحتكاك بطبقات مجتمعه، مثقف يساهم "في إخراج أفراد المجتمع من براثن الظلم والفساد، ومن سيطرة الإيديولوجيا الزائفة".[3]

إنّه مثقف يعبّر عن طموحات قوى محددة، ويناضل لتحقيق مطالبها وقد عرّف غرامشي المثقف العضوي بأنه مثقف "يعمل على إنجاح المشروع السياسي والمجتمعي الذي يُعنى بحاجات الطبقة الكادحة ويلبّي احتياجاتهم الجوهرية".[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص ٢٧.

[2]- محمد جزائري: أزمة مثقفي البرجوازية السعوديين، يوم الأحد ٢٠١٥/٠٣/٢م، الساعة www.aaust.com. 10 :09

[3]- غنية بوحرة: المثقف والصراع الايديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة ب: احميدة عياشي، ص ٢٧.

[4]- محمد جزائري: أزمة مثقفي البرجوازية السعوديين، الموقع نفسه.

أي أنه يسعى إلى حبس نبض مجتمعه والإحساس بالمحرومين والمظلومين والعمل على إخراجهم مما هم فيه، وتلبية كل احتياجاتهم الأمر الذي يجعل مفهوم المثقف العضوي يتسع ليشمل "كل من يمارس عملا تربويا ثقافيا أخلاقيا فمناضل الحزب والمعلم والصحفي والأديب مثقفون لكونهم يبذلون عملا ذهنيا يتعدّى كثيرا كمية ونوعية العمل اليدوي الذي يؤديه الشغّيلة اليدويّون مثلاً".[1]

معنى هذا أنّ المثقف العضوي يشارك في المجتمع بنشاط ويناضل باستمرار من أجل تغيير الآراء، إذن الوظيفة الأساسية "لكل مثقف عضوي داخل البنية الاجتماعية هي كونه اسْمَنْتًا يربط البنية التحتية بالبنية الفوقية، ويكون بذلك الكتلة التاريخية".[2]

وما نخلص إليه هو أن المثقف الحقيقي هو المثقف العضوي الذي يمتلك المعرفة ويتعامل معها عقلانيا، ويستطيع تحويلها إلى قوة مادية فاعلة ومؤثرة في مسيرة حياته وحياة مجتمعه، ففي الوقت الذي يعيش المثقف التقليدي في برجه العاجي اعتقادا منه أنه أعلى من كل الناس يولد المثقف العضوي الذي يحمل هموم عصره، وهموم كل الطبقات، ويرتبط بقضايا أمته، وفي الوقت الذي يربط المثقف التقليدي بين الماضي والحاضر كعملية مستمرة تاريخيا ينبثق المثقف العضوي ليضع حدّا فاصلا بين الماضي والحاضر، وفي حين ينحاز المثقف التقليدي في نظرته للإصلاح لتحقيق مكاسب ذاتية والحفاظ على دوره النفعي، يناضل المثقف العضو ليحقق مطالب كل الطبقات ويعايش همومها.

كل هذا يجعلنا نُقِرُّ أن المثقف الحقيقي هو المثقف العضوي على اعتبار أنّ المثقف الذي لا يُعني بهموم ومشاكل مجتمعه، ولا يسعى لإخراجه مِمّا هو فيه بآرائه الصّائبة، وأفكاره ومواقفه الجادة لا يستحق حتى أن يحمل لقب المثقّف حتى وإن امتلك أرقى الشهادات.

---

[1]- **المرجع السابق، ص ٢٨.**

[2]- **المرجع نفسه، ص ٢٨.**

٤- دور المثقف:

بداية لنتفق على أنّه لا وجود لمثقف بدون يقوم به، بل إنّنا لا نستطيع الحديث عن المثقف دون الحديث عن دوره، وكما يقال: "إذا أردت أن تعرف مستوى تطور أمة من الأمم فابحث عنه في مثقفيها باعتبارهم عنوان المستقبل وحاملي أفكارها والمبشرين بأحلامها، والعاملين على تثقيف أبناءها، والمربّين لأجيالها والمنيرين لعقول أطفالها، والمُشعّين على طاقاتها".[1]

فلا مناص إذن من أنّ المهمة الملقاة على عاتق المثقف صعبة وجسيمة، وتستوجب ممن يتصدى للاضطلاع بها شروط ومواصفات خاصة وقدرات عالية ومتميّزة، فكل ما نعرف ونعانيه من مشكلات، وكل ما نتعرّض له من أزمات في المجتمع صحيح، من منّا لا يحتاج إلى من يحدّثه عن المرض الذي يَلمّث به؟ من منّا لا يرغب في الاطلاع على ما تتعرض له الأمة من نكسات ؟ بل ربما قد مللنا ممن يحدثنا عن أعراض وأسباب المرض، مللنا من التشخيص، ومن البكاء والعويل، حقيقة شبعنا من حديث هذا وخطاب ذاك، هل سنداوي أمراضنا ومشكلات مجتمعنا بالأحاديث والخطب ؟ أم علينا أن نبدأ بتدريب أنفسنا على الأسلوب الأنفع والأجدر لتغيير الواقع الذي نعيش فيه ؟

أبدا ما استطاعت الأقوال وحدها تغيير المجتمع، وأبدا ما مكّنت كثرة الكلام والبكماء من تحقيق الأهداف والمساعي، وأبدا ما كان إفساح المجال لنا لنقول ما نريد أن نحقّق ما نريد.

لقد بات واضحا أنّنا وصلنا إلى مرحلة التشبُّع في مجال تشخيص أمراض المجتمع، وعلينا أن ننتقل اليوم أيضا بالعقل والتفكير إلى مستوى آخر، أن نرفع المستوى قليلا ونبحث عن الحلول ونسعى إلى التغيير، هذا الأخير الذي هو مهمة كل مثقف باعتباره أدرى الناس بواقع المجتمعات، وباعتباره أيضا صورة واضحة لأفق مجتمعه، ضف إلى

---

[1]- البشير العربي: المثقف العربي الإسلامي بين ثقافة السلم وثقافة الحرب، دار نهى، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٣٦.

ذلك كونه "الأقدر بحكم اطلاعه ومتابعته للمستجدات ومعرفة قدرته على استشراف المتغيرات في المستقبل والتوعية بما تحمله الأيام القادمة، ومن هنا يأتي دوره الريّادي في توعية الناس بالمتغيرات والمتوقعات، ثم توجيههم نحو الطريق الذي يضمن لهم المشاركة في هذا التغيير بما يحقق مصالحهم ومنافعهم"(١).

فهو إذن لا يتصف بالنرجسية والفردانية في خدمة مجتمعه، بل يعمل على الاحتكاك بطبقات مجتمعه، ويسعى لتوعيتهم وإشراكهم في تحقيق التغيير وفق ما يحقق لهم مصالحهم وأهدافهم، وفي هذا الصدد يرى غرامشي "أن بإمكان كل الناس أن يكونوا مثقفين بالمعنى العام (...) ولكن ليس لهم كلّهم أن يؤدوا وظيفته في المجتمع"(٢)، فالمثقف حسبه لا يقاس "بالأوسمة المعلّقة على صدره، وإنما يقاس بمدى إسهاماته الجادة في مشروع الأمة الحضاري."(٣)

وهذا يعني أن التراكم المعرفي وحده لا يستطيع أن يخلق لنا مثقفا لأنّ المثقف الحقيقي لا يقاس بحجم الكم المعلوماتي المتوفر لديه، وإنما يقاس بمدى إسهامه في تنوير الأمة أي بدوره الفعّال.

ولما كان التغيير "أهم هاجس من هواجس المثقف الحقيقي فعلى المثقف (...) أن يعمل على الانتقال من مرحلة الانفعال إلى مرحلة الفعل بالتاريخ، ومن مرحلة التأقلم والتوافق مع الواقع والانصياع إليه إلى مرحلة العمل على تغييره تغييرا شاملا وثوري حسبما نريده لأنفسنا."(٤)

إنّما اليوم في أمس الحاجة إلى مثقف حقيقي يستشعر المسؤولية الخطيرة والجسيمة، إلى مثقف يحمل الشعلة ويتمثّل دور النّبي، إلى مثقف ينشغل بقضايا أمته ومشاكلها المعاشة، وكل آمالها وطموحاتها، وكل أهدافها المنشودة، إننا في حاجة إلى مثقف يكسر

---

(١)- صلاح جرار: المثقف والتغيير، ص ٨.

(٢)- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص ٣٨.

(٣)- المرجع نفسه، ص ٣٨.

(٤)- صلاح جرار: المثقف والتغيير، ص ١٠.

القيود، ويفك الأغلال عن المجتمع، إلى مثقف يرفع الظلم والاستبداد، وينشر الأمان والحرية، وينشر العدالة في المجتمع، وبين كل الناس.

فلا جناح إذن من أنّ هذا الدّور الفعّال والصّعب في الوقت ذاته لا يستطيع أن يمثله سوى مثقف حقيقي مالك "لطاقة فكرية واسعة وشاملة في نظريتها للأحداث وبارعة في تصوير الحدث، ومفعمة بالمشاعر الوطنية الصّادقة (...) كل ذلك يجعله مُسلّطاً ضيائه على التقرحات الاجتماعية والسياسية التي يعاني منها المجتمع." [1]

وخليق بنا أن نبيّن حقيقة مفادها أن دور المثقف، والمهمة التي يسعى إليها تجعله "بمثابة المراقب الواعي والأمني على مصلحة المجتمع دون الإضرار بها من قبل المسئولين ومن ثم تأتي نظرته الواسعة والنيّرة لإضاءة الطريق أمام العامة دون الخروج بعيداً عن معايير وقيم المجتمع." [2]

فوحده المثقف يملك حق الوصاية على القيم والولاية على المجتمع بإعطاء نفسه الحق في تعيين ما هو حقيقي ومشروع وصالح "لأنه يتحرك نحو تغيير الواقع ويدعو إلى مجتمع منشود في المستقبل منتقدا لإيديولوجيات الحكم ونظامه." [3]

ووحده المثقف يستطيع إشعار الفئات المظلومة والبائسة بما وقع عليها من جور وحرمان فضلا عن تحريك المتضرّرين من الفساد، والمطالبة بحقوقهم وتغذية الثقافة المحلية بمواد ثقافية معاصرة متنورة، وهو ما طرحه إدوارد سعيد حين قال: "بدون المثقفين لم تشتعل أي ثورة رئيسة في التاريخ الحديث، وفي المقابل لم تقم أي حركة مضادّة للثورة بدون المثقفين، فالمثقفون هم آباء الحركات." [4]

هذا علاوة على أن "المثقفون هم أكثر العناصر تفهما للواقع والأشدّ وعيا بضرورات ومتطلبات تغيير الواقع وتحديثه (...) وهم المسئولون عن الإصلاح

(1)- معين خليل العمر: علم اجتماع المثقفين، ص ٣٠٠.

(2)- المرجع نفسه، ص ٢٧٣.

(3)- المرجع نفسه، ص ٢٩٦.

(4)- صلاح جرار: المثقف والتغيير، ص ١١.

الاجتماعي وبناء وتشييد المجتمع والشخصية والكرامة العربية وتشييد صرح المعرفة والأخلاق".[1]

وما دام التغيير مهمة كل مثقف فلا يجب أن تنقطع هذه الرغبة، لأن كل شيء في الحياة قابل للتغيير والتطوير في كل مكان وفي كل زمان، ولا يجوز أيضا أن تنتهي عند نقطة بعينها، بل لابد من العمل المستمر من أجل إحداث التغيير نحو الأفضل، فوحدها أقلام المثقفين وأفكارهم وإبداعاتهم تستطيع أن تشحن روح الأمة وضميرها بوجوب التغيير، ووحدهم المثقفون يستطيعون إيقاظ الأمة، وإنارة مسالكها، وتعبيد الطريق لها من أجل التقدم والتطور، ومواجهة الصعاب والتحديات لتحقيق أهدافها وتطلعاتها المستقبلية.

كيف لا وهم "عقل الأمة وضميرها، والمعبّرون عن أوجاعها وأحزانها وأفراحها وآمالها وأشواقها وتطلعاتها، وما داموا كذلك فإنهم أكثر من يملك أدوات التغيير والتجديد وأساليبه، ومن أقوى من يؤثر في وعي الناس وعقولهم واتجاهاتهم ووجدانهم".[2]

والواقع أن "التغيير سمة من سمات الحياة، وبدونه تتلاشى الحياة وتضمحل، والمثقفون هم قادة التغيير، ومن غيرهم لا يكون تغيير".[3]

وما نخلص إليه هو أن المثقف دائما يحلم بواقع في طيّاته النور يتجاوز العوالم المعتّمة نحو عوالم مضيئة، لأن تراجع المثقف عن دوره لا يؤدي إلا إلى مصير واحد وهو: الاضمحلال والأفول والموت الحقيقي.

---

[1]- **إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، ص ١٨٤.**

[2]- **صلاح جرار: المثقف والتغيير، ص ٣٢.**

[3]- **المرجع نفسه، ص ٣٣.**

الفصل الثاني
صورة المثقف في
رواية مملكة الفراشة

لّما كان الأدب الحقيقي هو الذي يعبّر عن الحياة، ولّما كـان المثقـف الحقيقـي هـو الذي يرفع صوته ويستخدم قلمه لكشف الحقائق والـدّفاع عـن الحقـوق المُنتهكـة، ولأنّ الكتابة وسط كل ذلك هي جوهر الحياة بكل ما فيها من أشكال وألوان، وهي التي تنطلق منها شرارة الثورة والتغيير، وذلك حين ترصد الواقع المأزوم بُغية التوعية وتحريك عقـول الناس وتنبيههم، وتوضيح الطريق الصحيح لهم.

لأجل كل هذا كانت الرواية الأحسن والأقدر على ترجمة واقع المجتمعات، ولأنّ واسـيني الأعـرج واحـد مـن المـثقّفين الـذين يجعلـون القضـايا الإنسـانية في صـلب كتاباتهم،وينفُذون إلى مواطن التأزم ليسلّطون الضّوء علـى المُلتـبس والمُهمّـش والمخفـي، وسعيا وراء كل هذا، وحبًّـا في كتابـة، وأمـلا في التغـيير قـدَّم لنـا واسـيني روايتـه مملكـة الفراشة.

من هنا ستبدأ رحلتنا نحو عالم هذه الرواية، وانطلاقا من الرّوائي كمثقـف سـتكون دراستنا، فيا ترى ما هي الرسالة التي يريد واسيني إيصالها إلينا من خـلال هـذه الروايـة؟ هل نجح واسيني كمثقف في ملامسة أوجاع مجتمعه وتصوير أزمته ؟.

- ما هي القضايا التي عمل على كشفها وتعريتها في روايته ؟
- كيف صوّر لنا واسيني الشخصيات المثقفة في الرواية ؟
- بل كيف كانت صورة المثقف في رواية مملكة الفراشة ؟

١- مشاهد من الرواية:

يُطالعنا الرّوائي واسيني الأعرج هذه المرة بروايته الجديدة الموسومة بـ "مملكة الفراشة" التي يكشف فيها عن مخلّفات الحرب الأهلية على نفسية وحياة المواطنين، كما يناقش الروائي ضمنيّا وبشكل أكثر عُمقا قضيّة العُزلة التي انتهى إليها المجتمع الجزائري، وكيف يسيطر الخوف على عقول المواطنين وأذهانهم حتى بعد انتهاء الحرب الأهلية، إنها التفاصيل التي تعكسها بطلة الرواية وهي شخصية مثقفة تتولى بدورها رسم المصير المُفجع والمُؤلم للمجتمع الجزائري.

وتتكامل الرواية مع مجموعة من الشخصيات المثقفة التي انعكست عليها العزلة وبأشكال مختلفة، وكيف يحاولون الخروج منها كلٌّ حسب إمكانياته الفكرية وتركيبته النفسية وموقعه داخل المجتمع، بدا بوالد البطلة الصيدلاني الذي تمّت تصفيته لأنه رفض المتاجرة بأرواح الناس، ثم والدتها وهي معلمة اللغة الفرنسية والتي أُقيلت من عملها وانتهت إلى حالة من العزلة والجنون بل إلى الدخول في عالم مُلتبس مع روائي ميّت، وكذلك أختها التي هربت من البلاد، ثم أخوها رايان الذي دخل السجن بتهمة القتل، ليصبح من المفقودين بعد حرق السجن، ويهيم في المدينة، في حين تغرق البطلة في عالم الفيسبوك، فكل شخص من شخوص الرواية يُشكّل حالة من الاغتراب عن الذات وعن المجتمع "**فأخطر شيء في الحروب الصامتة هو أن يخسر الإنسان الألوان التي في أعماقه وقلبه الحي، ويتحول إلى مجرد دودة قاتلة وناخرة بسريّة لأكثر العظام قوة وصلابة**."[1]

كما يكشف لنا الروائي عن ذلك الفساد الذي يُعشعش في أواسط البلاد من غش في الأدوية وتجارة بالأعضاء البشرية، وفقر وبطالة....حيث صوّر لنا كيف تتستّر السلطة على كل أنواع الفساد حفاظا على استمرارها، وقمعها لكل من يحاول كشف المستور، كما يُعرّج بنا واسيني نحو حالة أخرى من التهميش التي لحقت المثقفين في بلد لا يُعبر لهذه الفئة أيّ اهتمام إلاّ فيما يتعلق بمصالحها، كما تكشف لنا الرواية عن زيف تلك العلاقات

---

(١)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، دار صادر للصحافة والنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الاولى، ٢٠١٣، ص ٣٧.

التي تنشأ على المواقع التواصلية، وهو الذي يتضح من خلال قصة الحب التي عاشتها البطلة مع كاتب مسرحي جزائري يعيش في المنفى، وفي النهاية تكتشف البطلة عقم التجربة التي عاشتها في دهاليز الفيسبوك فتتخلى عن هذا الحب وتبعث به إلى فراغ.

فكل هذه المعطيات تعبّر عما أصاب البلاد والعباد من خراب وما تلاه من مآسي، فالعزلة قاتلة ومدمّرة "**وتبدع كل شيء بما في ذلك الجنون**."[١] وتُربّي أوهاما خطيرة في الناس، والنهايات تراجيدية بطبيعة الحال داخل مدينة مُنقسمة يفصل بينها جسر هو في النهاية الفاصل بين الواقع والخيال، وبين الموت والحياة.

٢- المثقف والمجتمع:

لمّا كان الرّوائي واحد من المثقفين الذين أحبّوا الكتابة وأخلصوا لها بصدق الفعل والنيّة معا، وأعطوها كل حياتهم، ذلك أن الكتابة في كل حالاتها هي رؤية جديدة تعيد صياغة الواقع ومن ثمَّ تطرح أزماته ومشكلاته بُغية الانتقال بالإنسان من حالة الأزمة إلى حالة الحريّة، ولأجل كل هذا عمل واسيني الأعرج في روايته مملكة الفراشة على التحليق بنا إلى فضاء المجتمع الجزائري ساعيا إلى رصد تلك التأثيرات التي تنجم عن الحروب الأهلية وتبعاتها على نفسية وحياة المواطنين، مُسلّطا الضوء على الحالة التي انتهى إليها الأشخاص وكيف يسيطر الخوف على عقولهم ونفسياتهم حتى بعد انتهاء الحرب، وهو الأمر الذي دفعهم إلى العزلة وبناء عوالم خاصة بهم.

ولّما كان المثقف هو الأقدر على طرح قضايا مجتمعه فقد جعل **واسيني** البطلة **ياما** المثقفة هي من تتولى عملية السرد ورسم المصير الذي آل إليه المجتمع الجزائري بعد الحرب الأهلية، حيث ترى الساردة أن الموت والقتل لم يتوقفا أبدا بل إنهما عادا للبروز ولكن في ثوب آخر لا يقلّ خطورة عن سابقه وهذا ما يتضح من خلال الراية: "**من قال إن (...) هذه الحرب انتهت ما دام الموت حاضراً**."[٢]

---

[١]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٤٨٧.

[٢]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٥٣.

فبالنسبة للسّاردة "**الحرب الأهلية شيء آخر عندما تنتهي وعندما تتضاءل تخرج من أعماقها حرب أخرى**"[١]، إنها "**حرب مربكة ومميتة وبآلاف الأقنعة، حرب ضدّ الأهالي**"[٢]، إنها "**الحرب الصامتة حرب الانتقامات السريّة**"[٣] التي تجعل الناس يعيشون في حالة من الخوف، حيث أصبح الموت حاضرا في كل الأمكنة والزوايا "**في مدينة أصبحت توفره بسخاء**"[٤]، غير أن الموت في الحرب الصامتة ليس كالموت في الحروب الأخرى بل إنه يصبح "**حالة عبث والميّت لا يصبح شهيدا إلاّ بقدر انتسابه للجماعة المنتصرة، وإذا مات خارجها أو حتى خارج الجماعة المنهزمة فهو لا شيء، وعليه أن يجد حفرة يضع فيها جثته بسرعة وبسرّية حتى لا تأكله الذّئاب والكلاب الضّالة بلا أعلام وأناشيد وطنية ولا اعتراف، كثيرا ما يُنسى تقييده في سجلات الوفيات لأن لا أحد معنيّ به وليس موجودا أصلا**".[٥]

فهذه الحالة العبثيّة للموت تساعدنا على إدراك حجم المأساة التي لحقت بالبلاد جرّاء هذه الحرب القاتلة التي دمّرت البلاد والعباد وفكّكت العلاقات الاجتماعية وانعدمت الثقة بين أبناء الوطن وهو الذي جاء على لسان الساردة حيث تقول وتتحسّر "**كل شيء غير عادي، حتى أبسط التفاصيل اليومية، من يقول لك صباح الخير بلا سبب تتساءل عما يخفيه تحت ابتسامته الغربية في مدينة حزينة، وكأننّا نحتاج إلى ذريعة لنصبّح على الناس أو نمسّي عليهم**".[٦]

كل هذا يفسّر ما آل إليه الوطن من تمزيق والذي ما فتئ يوزّعه على أبناءه الذين دخلوا في حالة من العزلة والإنطواء، والابتعاد عن العالم الواقعي المرير والمرفوض هربا

---

[١]- المصدر نفسه، ص ٥٣.
[٢]- المصدر نفسه، ص ٢٦٠.
[٣]- المصدر نفسه، ص ١١٤.
[٤]- المصدر نفسه، ص ٢٥.
[٥]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١١٥.
[٦]- المصدر نفسه، ص ١٢٨.

نحو واقع بديل ينشدونه حيث ترصد الرّواية الحالة التي انتهت إليها عائلتها التي وقعت ضحية هذه الحرب الصامتة بدءً بوالديها الذي يعمل في مخابر صيدال والذي اضطرّ إلى مغادرته بسبب اللعّب بالأدوية والتجارة بأعضاء المرضى حيث ينتهي به الأمر مقتولا على نحو تراجيدي محزن، مرورا إلى الزّوجة وهي مُدرّسة للغة الفرنسية والتي اضطُرت أيضا إلى التقاعد من عملها نتيجة القتل المستمر الأمر الذي يدفعها إلى الجنون والعزلة ثم الموت، وانتقالا إلى الأخت التوأم (ماريا/ كوزنت) التي تنكّرت لعائلتها وبلدها وهربت أيضا من هذه البلاد، وانتهاء إلى الأخ (رايان) مربّي الأحصنة الذي قدره إلى عالم المخدّرات وسلسلة من الانهيارات العصبية لينتهي ورقة في مهب الريح يبقى مصيره ضائعا مجهولا، كما تجّد البطالة لنفسها مهربا نحو مملكتها الزرقاء.

فكل هذه النهايات التراجيدية كانت مصير عائلة البطلة وكما تقول هي: "**لا نصنع أقدارنا كما تشتهي، ولكن الحياة ترتّب كل شيء في سريّة تامة وفي لحظة شبيهة بالجنون ترمي بنا في خِضَمّه ثم تجلس على أعلى تلّة وتتأمل تخبّطنا اليائس بشكل يكاد يكون شبه مرضي.**"[(1)]

والواضح أن حالة العزلة التي انتهى إليها أفراد المجتمع لم تكن اختيارا بقدر ما كانت قدرا محتوما أو اضطرارا عاشته فئات المجتمع كانعكاس عن "**وضع اللاّحرب واللاّسلم**"[(2)] الذي تعيشه البلاد ويبقى المجتمع في خِضَمّ كل ذلك يشعر أن كلّ شيء يهبط عليه من فوق، وأنّه تبعا لذلك يعيش أوضاعا لم يُسهم في إيجادها، ويتحمّل نتائج ما لم يشارك في أسبابها، وهو ما تؤكده الرّواية "**الجزء الأكبر منهم لم تكن هذه الحرب حربه، لم يكن هو من أشعلها، ولكن عليه إخماد نارها بجسده ولحمه.**"[(3)]

---

(1)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٣٦٨.

(2)- المصدر نفسه، ص ٢٦.

(3)- المصدر نفسه، ص ٥٣.

ولّما كانت الرّوايات في جُلّها تُترجم الواقع المُجتمعي للشعوب الإنسانية فلقد استطاع واسيني بعين الصّقر التي يمتلكها أن يقرأ واقع مجتمعه، ففي النهاية ليست الأعمال الرّوائية سوى عبرات يسكبها الرّوائيون بين أيدي أبناء مجتمعاتهم، علّهم يجدون في بكاءهم عليهم بعض التعزية والسّلوى، وربما كان هذا حال واسيني الذي حاول من خلال روايته أن يبكي حال هذا المجتمع والسّلوى، وربما كان هذا حال واسيني الذي حاول من خلال روايته أن يبكي حال هذا المجتمع الجزائري بعد الحرب الأهلية، ويكشف عن جراحاتهم علّهم يجدون في بكاءه بعض السّلوى، وهذا ما يتضح في الرواية "**الناس كلهم في ظلمة الحرب الصامتة (...) هم يحتاجون إلى من يكشف عن جراحاتهم ببعض الصّدق**"[1]. وهنا تكمن مهمة المثقف المبدع والواعي الذي يُجنّد قواه الفكرية وقلمه لكي يرصد الواقع في قالب فنّي يطرح من خلاله عمله قُربانا تمتد صفحاته جسرا وطيدا تعبر عليه الأجيال القادمة المُطهّرة من نَتَنِ الحرب والخوف والعزلة، علّها تنتقل من واقعها الحسّي العاجز إلى دنيا الفعل والانعتاق والحرية.

فلا أصعب حقيقة من هذا الصراع الذي يعيشه المجتمع الجزائري وأيّ صراع صراعٌ تفخر بعض أطرافه بقتل بعضها البعض.

فانعكس ذلك أن تقلّص فضاء، الحرية، وتزايد القتل، وازدادت بذلك أسس العنف والطّغيان رسوخا في عقول الناس، فأخطر شيء في الحرب الصاّمتة أنّك لا تعرف عدوّك وهو ما تُشير إليه الرواية "**ليست في حرب ضد أحد، بيّنوا لي عدوّي المفترض ؟ (...) إنّه بدون وجه أو بكمّ لا يعدّ من الأقنعة**".[2]

وكما يقول أدونيس: "**ليس العدوّ المباشر هو من يغلبني، يغلبني العدو الآخر، غير المباشر، المُستتر**"[3] وهو أيضا ما تؤكده الرواية "**أقتل من (...) لا أعرفه لا يملك وجها،**

---

[1]-المصدر نفسه، ص ٤٧.

[2]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٩٢.

[3]- أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، دار التكوين للتأليف والنشر والطباعة، دمشق-سوريا، ط٣، ٢٠١٠، ص ١٤.

كلما اقتربت منه وجدت قناعا على قناع، وبدا لي كل الناس مجرمين وأبرياء في الوقت نفسه"[1] وهذه هي الحرية المزيّفة بعينها ذلك حين لا تعرف "**من على حق ومن على باطل**"[2] وصدق من قال: "**الحرية المزيّفة تدخل مع الطغّيان في لباس واحد، بل إنهاء أشدّ خطرا، الطغّيان شرّ تعرفه، تنجني له أو تحاربه، يهزمك أو تهزمه، لكن الحريّة المزيّفة غامضة وذات وجوه كثيرة، فهي اسميّا شمس غامرة، وهي فعليّا كهف مغلق، وبين الاسمية الجوفاء والعقلية الخانقة تضيع الحرية والحياة ويضيع الإنسان**."[3]

والحق نقول إنّ جرح الواقع بمثابة الصّواريخ العابرة للقارات فبمجرّد أن يتم توجيهها نحو الهدف تُحدث تدميرها الكلّي وهنا نكتشف ما يعانيه الرّوائي كمثقف ومن خلفه الرّوائي أن يرى وطنه يتدمّر أمما عينيه، لأنّ الفاجعة الكبرى التي ترسمها الحرب هي أنها تحطّم الرّوح وتكسر القلوب، وتَدْعَسُ المعنويات وتُثبّط العزائم والرغبة في الحياة وتستفرغ دواخل الناس من كل شيء فليس الأفظع في التدمير الذي يلحق العُمران، وإنما الأفظع التدمير الذي يلحق الكيان، كيان النفوس والعقول.

ولأجل هذا جاء الأدب، لأنّ من الأدب لَمُتنفّسٌ لتحرير الذّات من القهر المسلّط عليها، ومن الخوف الذي يسكنها، فالإبداع بمثابة البلسم الذي يداوي جراح الرّوح، وإعلان عن التشبّث بالحياة والإصرار عليها في وجه عنف الحرب، وهو الذي يتضح من خلال الرّواية "**بلادنا واسعة مثل سماء، ودافئة مثل شمس ينقصها فقط من يُذكرّها بذلك من حين لآخر**"[4]، فعلى الرغم من كل الكوابيس التي عاشها المجتمع إلاّ أنه لا يزال يحلم بغد أفضل "ومتى كان البشر يعيشون بلا أحلام"[5]، وعلى الرغم مما يحدث إلا أن إصرارهم للوقوف والمواصلة كبير "**إرادتهم كبيرة للمواصلة، متعبون مما يحدث، لكنهم**

---

[1]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٩٣.

[2]- المصدر نفسه، ص ٩٤.

[3]- أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، ص ١٥٢، ١٥٣.

[4]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٢٦.

[5]- المصدر نفسه: ص ٥٩.

مصرّون"[1] إنّ المثقّف المبدع ينطلق من جروح مجتمعه، التي انكوى بها وعيه، وانكسرت بها نفسيته، وكذلك مشاعره، ولأجل ذلك لجأ إلى الكتابة كمرافعة لضميره كمثقف أمام الأمة والتّاريخ، اللذّين نصبّاه، صانعا للمستقبل "**لأن المثقف يجب أن يدافع عن الإنسان في معركة البقاء، وهنا تبرز العلاقة الحميميّة بين الحياة والكتابة عنده، فهو يعاني الحياة ويحمل في قلبه الفجيعة دائما، فالفجيعة في قلبه تصبح حياة ومحبّة وشهوة إصلاح للعالم**".[2]

فكل هذه المعطيات تعبّر عمّا أصاب البلاد والناس من خراب ودمار قدّمه لنا واسيني الأعرج في قالب لغوي فنّي جمالي كان هو وسيلته لما عجز ورأى استحالة المواجهة الفعلية على مستوى الواقع فجاءت روايته كردّة فعل يعبّر بها فنيّا عن ألمه "لأن المثقف غالبا ما يهرب إلى اللغة ليعبّر عنه رفضه"[3]، فجاء الرّواي صورة عنه بل يمكن القول أنه هو ذاته.

وما نخلص إليه أن هذا العرض الذي قدّمه واسيني يكشف عن كونه قد استغرق في قضية مجتمعه الجزائري، صدر عنها، تمثّلها، وبعثها ولكن ليس هذا إلا إضاءة أوّلية لجانب من رؤيته الشّاسعة الممتدة أو هي محطّة انطلاقة في رحلة الكشف البعيد ومحاولة التغيير والتطلّع إلى الانبعاث من وسط الرّكود والتخلف والمُجاهدة المضنية في طلب الحقيقة والحرية، كل ذلك وغيره هو أساس تجربة المثقّف.

---

(1)- المصدر نفسه: ص ٢٧.

(2)- حفناوي رشيد بعلي: قراءة في نصوص الحداثة وما بعد الحداثة، دروب للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١١، ص ٢٥٦.

(3)- الشريف حبيلة: الرواية والعنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠، ص ١٨٣.

٣- الشخصيات المثقفة (المعاناة / المصير):

أ- الزبير/زوربا:

الزبير الملقّب بزوربا[*] هو مثال عن ذلك المثقف الذي يناضل من أجل القيّم والمبادئ الإنسانية "**كان يشتغل مع شركة بريستول مير الأمريكية المتخصّصة في إنتاج الأدوية المضادّة لمرض السيدا، السرطان والضغط، والأمراض القلبية والشريانية والانهيارات العصبية وغيرها**".[1]

لقد كان الزّبير يعمل في أحد أجود المخابر في فرنسا وألمانيا لكنه فضّل الرجّوع إلى وطنه، فضّل أن يكون شعلة في وطنه، ليشتغل في المخبر الوطني التابع لشركة صيدال قبل أن يطلبوا منه الإنضمام إلى "**مخبر السلام الضخم الذي كان يديره أحد الخواص، وينتج المضادّات الحيوية والمصل، وأدوية الضّغط والسكري والسرطان وغيرها**".[2]

لكن فطنة الزّبير جعلته يكتشف المستور ويستدرك أن اللّعبة ما هي إلا "**عملية منظمّة ومركبة لتدمير مخابر صيدال الوطنية**"[3]، وأنّه كان بخبرته الكبيرة في عمق حرب غير معلنة، لقد اكتشف أن "**مخبر السلام ليس إلا غطاءا لإنتاج المخدرات الاصطناعية التي يُرسل بعضها إلى المستشفيات المتعاقدة معه لتخفيف آلام مرضى السرطان ويباع في الأسواق الداخلية**".[4]

---

[*]-زوربا: نسبة الى زوربا اليوناني وهو شخصية حقيقية التقى بها الكاتب نيكوس كازانتزاكي في إحدى أسفاره، وقد أعجب بها إعجابا شديد فكتب رواية باسمه. والمميّز في زوربا هو أنه يحّب الحياة بكل أشكالها، لا يذكر الحزن بل يذكر الفرح دائما، وفي لحظات حزنه الشديد أو سعادته الشديدة يرقص رقصته المشهورة (رقصة زوربا)، وربما لُقّب الزبير بزروبا لأنه يشترك معه في حب الحياة، (نقلا عن الرواية، ص ١٠٠، ١٠١، ١٠٣).

[1]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٦٣.

[2]- المصدر نفسه، ص ٦٣-٦٤.

[3]- المصدر نفسه، ص ٦٤.

[4]-المصدر نفسه، ص ٦٥.

فها هو المثقف الذي ترك مخابر مير الشهيرة في نيويورك وباريس، ويعود إلى وطنه، يعود إلى أرض كان يهرب منها كلّ من سمحت له الفُرصة لأنها ببساطة أرض قاتلة، ولكنّه بالرّغم من كل شيء يعود لأنه مثقف نزيه عاشق لوطنه، وعاشق للحياة، وعاشق لعمله، ليكتشف أنّ هذه البلاد التي عاد بشغف كبير وطموح عظيم إليها كانت في الحقيقة "**تسير بخطى حثيثة نحو هلاك أكيد**"[1] بسبب التجارة بالأعضاء البشرية واللّعب بالأدوية الفاسدة.

ولأنّه ما كان عليه ألاّ يكشتفه "**أوقفوه ثلاث مرات في زاوية الشارع (...) وطلبوا منه أن يترك نهائيا وظيفته في مخابر صيدال**"[2]، لكن الزّبير كان في كل مرة يرفض ولكن في "**الصباح الموالي احترق بقدرة قادر مخبر صيدال ومخزن الأدوية الذي كان يوفر الحاجات الطبيّة الضرورية من أدوية وأجهزة**".[3]

لكن الزّبير كان مقتنعا بأن "**اللّي عملوها هم القتلة، لا يوجد غيرهم (...) لقد أصبحوا ذئابا واختلطوا مع الضّباع، مافيا الأدوية، أعرف أشياء خطيرة**".[4]

حزن الزّبير كثيرا وانكسر قلبه وهو ما توضحه السّاردة "**كنت ألمس درجة حزنه العميق الذي اخترق قلبه، كانت المرارة بادية على كل كلمة كانت تخرج من فمه**"[5]، ولأن قوة الزبير كبيرة فهو لم يتراجع ولم يتوقف عن عمله بل "**نقل جزءا مهمّا من وسائل عمله ومخبره الصغير إلى البيت وأصبح يتعامل مع الصيدليات الصغيرة ومخبرين تابعين للدولة**".[6]

---

(1)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٦٥.

(2)- المصدر نفسه، ص ٦٤.

(3)- المصدر نفسه، ص ٦٤.

(4)- المصدر نفسه، ص ٦٤.

(5)- المصدر نفسه، ص ٦٥.

(6)- المصدر نفسه، ص ٦٤.

ولأنّ الزبير مثقف لا يسكت عن الحق والفساد، ولأنه لم يقتنع أن سبب الحريق كان شرارة كهربائية، كان مصمّما على فضحهم، وهو الذي تؤكده ابنته "**كان بابا زوبا مصمما على فضح من كانوا وراء فعل الحريق فلم يقتنع بأن السبب كان شرارة كهربائية كما قالت التلفزة الوطنية ووسائل الإعلام الأخرى**".[1]

الزّبير كان مثقفا ورجل علم واستقامة، كان مُصبرّا على الحياة، كان "**لمعة مُشعّة في الظلمات**"[2]، كان مثقفا يعشق وطنه الذي عاد إليه ومن أجله "**ظلّ يُسهم في إنتاج الأدوية التي أنقذت الملايين في أرض قُطع عنها كل شيء وهربت منها الحياة**".[3]

ولأنّه كان منارة في الأخلاق والنزاهة الفكرية، ولأنه كان مثقفا باحثا عن القيّم الإنسانية البنّاءة داخل مجتمع فاسد فكان أن هددّوه، ثم أن أحرقوا له المخبر، بل بلغ الأمر بهم إلى أقصاه، إلى التصفية الجسدية فأرْدَوْهُ قتيلا لا لشيء سوى أنّ "**المهزومون لا يرحمون أحدا من النّاجحين**"[4]، لا لشيء سوى أن المهزومون لا يتوانون عن قتل الأرواح السّاعية إلى بلورة الإصلاح.

إنّ الزبير واحد من أولئك المثقفين الذي يتشبثون بأوطانهم ومبادئهم، ويحلمون بإعادة الحياة، ولكنهم سرعان ما يجدون كل طموحاتهم وأمالهم تتحطّم على صخرة الواقع.

لم يكن الزّبير يعلم أن نزاهته واستقامته ستكلّفه حياته ولم يكن يدري أن وطنه الذي ترك من أجله مخابر أمريكا وفرنسا الضخمة كان "**مقبرته النهائية**"[5]، وانطفأت شمعة الزّبير بشكل تراجيدي.

---

(1)- **واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٦٤.**

(2)- **المصدر نفسه، ص ٢٣٨.**

(3)- **المصدر نفسه، ص ٣٦٣.**

(4)- **المصدر نفسه، ص ١٥٨.**

(5)- **المصدر نفسه، ص ١٢٥.**

ب- فريجة / فيرجي:

فيرجي[*] الزوجة هي أيضا امرأة متعلّمة ومثقفة، محبة للأدب والفن، والموسيقى وهو ما نستشفُّه من خلال قول ابنتها "**فيرجي كانت معلّمي الأول في القراءة وحب الأدب وتعلم اللغات**"[1]، كانت تشغل منصب أستاذة في اللغة الفرنسية "كانت تُدرّس الفرنسية في ثانوية الكسندر دوما (...) كانت عيناها تبرقان ذكاء ورغبة في الحياة."[2]

إنها مثقفة مُحبة للعلم وترفض الجهل كما تؤكد حين قالت: "**كائنات غريبة جعلت من الجهل والأمية قيمة ؟ أي زمن هذا هم من دفعوني إلى طلب التقاعد من عملي الذي كنت أحبه بقوة (...) غلّقوا أبواب النور والفرح والهرب الجميل، نحو عوالم أخرى، كل اللّواتي أصررن على التدريس دُجن.**"[3]

كانت فيرجي امرأة "**عادية محبة للأدب فقط وللناس (...) مثل زوربا ترفض أن تستلم للقتلة**"[4]، ولكن نتيجة لتقاعدها المبكر، وموت زوجها الزبير، ودخول ابنها رايان السجن، وسفر ابنتها ماريا خارج البلاد أحدث لديها تراكما كبيرا من الخيبات جعلتها تدخل في عزلة مُخيفة وتنزلق كل يوم نحو الجنون بخطوة واحدة، وماالجنون سوى مُحصلة الأمراض الداخلية والخارجية التي عانتها فيرجي وانتهت إلى انفصام في الشخصية كما تقول الساردة: "كانت تتجه نحو انفصام نهائي في الشخصية"[5] قرّبها من حالة جنون ووهم

---

[*]- فيرجي: نسبة إلى فرجينا وولف وهي أدبية انجليزية اشتهرت برواياتها التي تمتاز بإيقاظ الضمير الإنساني، ولكن بعد كتابتها لأعمالها التي نشرت بعد وفاتها أصيبت بحالة اكتئاب وزادت حالتها سوءا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وتدمير منزلها، وفي ٢٨ مارس ١٩٤١ ارتدت فيرجينا معطفها وملأته بالحجارة، وأغرقت نفسها في نهر أوس القريب من منزلها، وهي نفس الحالة التي وصلت إليها فريجة التي انتهت إلى حب شخصية خيالية، فغرقت في نهر الموت (نقلا عن الرواية، ص ١٣٩، ١٤١، ١٤٣).

[1]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٣٢٣.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٥٦.

[3]- المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

[4]- المصدر نفسه، ص ١٤٠.

[5]- المصدر نفسه، ص ١٧٣.

حب الكاتب الفرنسي المشهور بوريس فيان، فكل هذا جعل من فيرجي المثقفة سقيمة الجسم تذوب مثل الشمع بحرارة عواطفها تجاه رجل ميّت أو بالأحرى تجاه رجل ولدت هي يوم وفاته، وتضمحلّ على مهل كالرّائحة الزكيّة أمام العاصفة، وتفني حُبّا برجل ميّت تشعر به ولا تراه، تحسُّ به ولا وجود له، هو حيّ وموجود فقط في خيالها، بل وصل بها الأمر الى انتحال شخصيات معشوقاته، والإنغماس في عالم من الخيال والابتعاد الكلّي عن الواقع، فواقعها الفعلي الذي تسكنه هي ترفضه، وتهرب نحو عالم خيالي تنشده، وهو يرفضها بدوره، فهذا العالم الخيالي الذي تدخله فيرجي وعاشت فيه حبا وهميًّا كان متنفّسها الوحيد، وحلّها الوحيد الذي تنتقم من خلاله من كل الإحباطات المتتالية، وكل الضربات الموجعة والمتوالية على أوجاع مواجع ليست لتنتهي، وهي في النهاية ضحيّة حرب هذه البلاد الخاسرة، وكما تعترف هي حينما قال: "**كلنا شهداء هذه القسوة (...) نموت ونقتل دون أن نعرف لماذا؟ كل منّا مثل خروف يقودونه نحو المسلخ وهو لا يدري لماذا؟ ولكنه كان يمشي نحو حتفه**."[١]

وفيرجي بجنونها كانت تمشي نحو موتها وحتفها، لقد أصبحت على حافة الموت، وفي ذلك الحد الذي تُلغيه العتمة والفاصل بين الواقعي والافتراضي، بين الواقع والمتخيّل، كانت فيرجي توقّع شهادة وفاتها دون أن تدري لأنها ببساطة "**كانت تنام داخل جرح وحدها من كان يعرف عمق آلامه**."[٢]

ولأنّ فيرجي المثقفة رفضت واقعها القاسي والمرير ولجأت إلى الخيال وحاولت أن تجعله جميلا وخاليا من القسوة، فرفضها هو كذلك وانتهت إلى موت مفجع كما تقول ابنتها: "**الأم خرجت من هذه الدنيا مأخوذة بعشيق ظلّت ملتصقة به حتى الموت كالمرض الفتاك والمعدي**"[٣]، وماتت فيرجي في السّكينة التي اشتهتها كما تقول الرواية.

---

[١]- **واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٦٧.**

[٢]- **المصدر نفسه، ص ١٦٦.**

[٣]- **المصدر نفسه، ص ٢٩٥.**

ت- ياما:

هي مثقفة ورثت عن والدها الطّموح وحب الحياة والفن، تشتغل صيدلانية وهو التخصّص الذي اختاره لها والدها "**لأنه كله خير وخدمة للناس**"[1]، وهي علاوة على ذلك عازفة أيضا في فرقة ديبو جاز، كما أنها قارئة نهمة للعديد من الروايات العالمية، فوالدتها المثقفة ورّثتها حب القراءة.

إنّ ياما مثال عن ذلك المثقف الإيجابي الذي يكدّ في عمله ولا يتوانى عن خدمة الناس والإخلاص للوطن على الرغم من كل الصّعاب تقول: "**أنا امرأة تقوم باكرا لتركض نحو صيدليتها وتقضي اليوم بكامله في حل مشكلات الأدوية النادرة، وعندما تجدها تمُر عبر البيوت لتوزيعها على اللذين وعدتهم بتسليمها لهم كساعي بريد مزهو بالأخبار السارة التي تحملها الرسائل**"[2]، وتحزن عندما لا تُلبّي لهم طلباتهم تقول: "**أحزن عندما يطلب مني مريض دواءه ولا أستجيب له بسبب الندرة**"[3]، فوسط هذه الحرب الصامتة كان عملها وفرقتها هما أملها الوحيد الذي تعيش من أجله "**الصيدلية وديبوجاز كانوا يمنحوني الأمل للالتصاق بالحياة وكنت مصرّة على ذلك**."[4]

ولكن تشاء الأقدار أن ترسم لياما حياة تعيسة فقد قتل والدها مثلّها الأعلى أمام عينيها، وتوفيت أمها كذلك، وكانت شاهدة على رحيل أختها التوأم، وشاهدة على ضياع أخيها، ضف إلى ذلك فقدانها لعملها بسبب حرق الصيدلية، والذي زاد الطيّن بلّة هو فراقها لحبيبها (ديف) الذي قتلته الحرب الصامتة فتُضيفه إلى مقبرتها الداخلية التي تكاثر عدد سكانها.

---

[1]- **واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٣٧٢.**

[2]- **المصدر نفسه، ص ٣٠٢.**

[3]- **المصدر نفسه، ص ١٣٢.**

[4]- **المصدر نفسه، ص ١٨٠.**

فالحرب، والفقد، والخذلان، كلها مفردات اجتمعت وتآمرت مع بعضـها الـبعض لتُدْمِي قلب فتاة مثقفة هي ياما، ورمت بها نحو عزلة ضـاربة جعلتهـا تهـرب مـن قسـوة الواقع وجرحه نحول عالم افتراضي هو الفايسبوك متنفسها الوحيد الذي يشعرها بأنهـا لا زالت على قيد الحياة، وأنّها قادرة على الحلم ففي النهاية "**ليست الحياة الافتراضـية (...) سيئة أمام حياة معطّرة بالموت والدم ومعطوبة في الصميم، جميلة لأنها تشعرنا بأننا مازلنا على قيد الحياة، وأنّ قابليتنا للحلم لم تمت**".[1]

غير أنّ هذا الهروب نحو الحياة الافتراضية كان سببا في نشوء قصة حب جارفة بينها وبين الكاتب المسرحي الجزائري الذي يعيش في أسبانيا، تعلّقت بـه **يامـا** ومنحتـه قلبهـا، لتكتشف في النهاية وطبعا بعد فوات الأوان أنها كانت تحب شخصا افتراضيا لا وجود له في الحقيقة، وأنّ كل شيء كان وهم وأكاذيب ومحض تخيّلات لا أساس لهـا مـن الواقـع، فما قيمة كل هذا الحب أمام كل هذا الخداع، فمن تُراه كان وراء كل هذا الكـابوس "**هـل هي الصدفة العجيبة، أم مسارات هي من خطط لذلك؟**".[2]

التقطت ياما جميع الضربات ومـن كـل الاتجاهـات وعاشـت كـل أنـواع الألم بـلا استثناء، فكانت تلك معاناتها، فلم تجد من سبيل سـوى الفيسـبوك الـذي كـان يُهّيـأ لهـا مصيرها الذي دمّرها وكما تقول هي: "**بدأنا من حيث لا ندري (...) بـدأنا نصـنع موتنـا الخاص (...) كل مع أداته التي يصنعها لتقتله في النهاية**".[3]

فكان الفيسبوك هو الأداة التي صنعتها **يامـا** بنفسها والمصـير الـذي رسمتـه لنفسـها وكأنّها تقول: "**لن يصيبنا إلا ما كتبناه لأنفسنا**".[4]

---

(١)- **المصدر الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١١٨.**

(٢)- **المصدر نفسه، ص ٣٦٨.**

(٣)- **المصدر نفسه، ص ٤٩.**

(٤)- **المصدر نفسه، ص ٣٩١.**

ث- **الاخت التوأم كوزيت / ماريا:**

هي أيضا شخصية مثقفة فد "**سارت على خطى والدها، عالم الأعمال ومخابر البحث**"[١]، إنّها واحدة من ضحايا الحرب الصامتة التي أحرقت كل شيء رومت بها الى أرض مونتريال بعد أن تجمدت عواطفها تجاه بلدها وعائلتها.

إنّها مثال عن تلك الشخصية المثقفة الضعيفة، التي لا تستطيع الصمود أكثر، وسرعان ما تتنكرّ لأرضها وأهلها وهو ما تصرّح ب هياما بقولها: "**كوزيت طلّقت العائلة كلها (...) لا ترد على الرسائل العادية ولا حتى على بريد الفايسبوك، من حين لآخر تبعث لنا برسالة قصيرة هاربة (...) الرسالة نفسها في كل مرة وكأنها تعمل على نسخها في كل مرّة.**"[٢]

بل بلغ بها الأمر أن تنكرّت لوالدتها ولم تهتم حتى بحضور جنازتها فكان أن "**اعتذرت برسالة قصيرة (...) وكأنها لم تكن معينة بما حدث**"[٣] فكل الذي كان يعنيها هو حصّتها من الميراث وهو ما صرّحت به لياما بقولها: "**اسمعي ما تنسايش روحك، ذهب أمي ليس ملكك وحدك ستتحاسب عندما أعود إلى البلد، الفريضة لن تتم إلا بحضوري.**"[٤]

وتعود كوزيت إلى البلد، ولا تزور حتى قبر والدتها، بل تتسلّح بكل أنانيتها، وتستولي على كل الميراث، بل بلغ بها الأمر أن أخرجت أخاها "**من القسمة بحكم أنه مجنون وفي السجن المؤبد**"[٥] ثم تعود إلى ديار الغربة مُحمّلة بنصف ما تركه والدها، والواضح أنّ أزمة ماريا هي أزمة انتماء، إنّها مثال عن المثقف الذي يتنكّر لأهله وبلده

---

(١)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٦٨.

(٢)- المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(٣)- المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٤)- المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٥)- المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

ويفضّل الغربة على بلده، لقد انسلخت كوزيت كليا عن وطنها تقول الساردة: "**لم يعد هناك شيء يربطها بهذه الأرض.**"[1]

كانت هذه شخصية **ماريا كوزيت** التي يبدو واضحا أنها سلبية إلى أبعد الحدود، ولا تحمل في داخلها قوة الإرادة والتشبّث بالحياة والوطن.

ج- رايان:

هو حالة مأساوية أخرى إنّه الشاب المتعلم الطويل القامة، درس القانون الدولي، وله أحلام كثيرة في الدّفاع عن حقوق الضّعفاء وهو الذي يتضح من خلال الرواية "**كان رايان جميلا ورشيقا وهشا إلى أقصى الحدود، حلم كثيرا أن يكون ممثلا، لكنه ظلّ مرتبطا بقوة بدراسته والعائلة كلها كانت تفخر به، كان يدرس القانون الدولي وله أحلام كبيرة في الدخول إلى الأمم المتحدة والدفاع عن حقوق الكيانات الضعيفة.**"[2]

وفوق ذلك دخل الخدمة العسكرية لمدة سنتين وفي عز الحرب الأهلية تقول الساردة: "**دخل الخدمة العسكرية الإجبارية لسنة ونصف واستمرت سنتين كلها في عز الحرب الأهلية**"[3]. لينتهي به الأمر مخطوفا هو وصديقه، حيث يُقتل صديقه أما عينيه، فهذا المشهد المرعب وحالة القتل التي شهدها **رايان** نَخَرتْ دماغه قسوة وظلما تاركا بداخله جرحا نازفا لم يندمل الأمر الذي جعل أزمته النفسية تتفاقهم ليجد نفسه في عالم المسكّنات على اعتبار أن المخدرات هي وجه آخر للعنف والقهر، "**كان رايان في حالة قصوى من الدّعر لم يكن من سبيل لإزالتها مؤقتا إلا المهدّئات التي انتهت به إلى المخدرات التي كان يتناولها ليستطيع مقاومة الخوف الذي ينتابه وسكنه نهائيا وكان يدمّره من الدّاخل بهدوء.**"[4]

---

(1)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٢٥٩.

(2)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٣٠٩.

(3)- المصدر نفسه، ص ٣١٠.

(4)- المصدر نفسه، ص ٣١٤.

غير أن قوة **رايان** للاستمرار كانت أقوى حيث خضع للعلاج والإقلاع عن المخدرات، وقام بالانخراط في مشروع لتربية الخيول بعد أن خسر دراسته بسبب المخدرات فكانت الأحصنة الطريقة الجديدة لبدء حياة جديدة "**دخل في تربية الأحصنة الأصيلة وبيعها (...) كل شيء كان يسير وفق ما خطّط له**"[1]، لكن منافسه المعلم عنترة طلب منه التوقّف والعدول عن فكرته "**بعث لي بزبانيته ليوقفني عن الفكرة، لن أتوقف بعد كل ما قمت به**"[2] لكن **رايان** لم يكن يدري أن إصراره تنتظره في الزّاوية الأخرى ألسنة النار التي التهمت حظيرته وتحوّل كل شيء إلى رماد "**ذات صباح وقفت سيارة الشرطة عند الباب وأبلغونا أن حظيرة أخي رايان لتربية الأحصنة قد تحولت إلى رماد بعد أن احترقت ليلا، وكل الأحصنة هلكت (...) كل شيء تحول إلى رماد**."[3]

فبعد أن حاول رايان الوقوف على رجليه مرة أخرى، وبعد أن حاول ترتيب حياته مرة أخرى لجأ إلى تربية الخيول لينسى كل ما مرَّ به ولينسى خوفه ليجد كل أحلامه وطموحاته تلتهمها النيران "**لّما بدأ يسترجع صداقاته القديمة ويعود إلى طبيعته ويفكر في مشاريع حياتية والانخراط في العمل لنسيان الخوف (...) يجد رايان نفسه في نوبة ظلم بعد أن أحرقت خيوله ومركز التربية الذي فتحه بوسائله الخاصة**."[4]

كل محاولات **رايان** آلت إلى الفشل لينتهي كمن كان يخوض سباقا كانت نقطة البداية فيه الصفر لتكون نقطة الوصول والنهاية الصفر أيضا، الأمر الذي جعله يعود مرة أخرى إلى عالم المخدرات لا لشيء سوى لينسى انكساره وفشله المستمر "**لم أعرف إلاّ لاحقا أنه كان في دوامة المخدرات، والأقراص الملونة، المخدرات، والأقراص الملونة، المخدرات الاصطناعية التي كان قدر تركها منذ العلاج**."[5]

---

(1)- المصدر نفسه، ص ٨٥.

(2)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٨٧.

(3)- المصدر نفسه، ص ٨٧.

(4)- المصدر نفسه، ص ٣١٦.

(5)- المصدر نفسه، ص ٨٩.

يبدو أن مصير **رايان** المشئوم وسوء الطّالع لم يغفل عليه أبدا بل كان يتربّص به عند كل المنعطفات ليُطلَّ عليه هذه المرة بفاجعة أخرى وهي تهمة القتل التي أسندت إليه "**جاءت الشرطة لتخبرنا بأن رايان في السجن المركزي للمدينة وأنه سيحاكم**"[1]، فقد "**أثبتت الشرطة العلمية بما لا يدع مجالا للشك تورطه في الجريمة كما أكدّ ضابط الأمن المركزي ذلك.**"[2]

وينتهي الأمر **برايان** بين حيطان السجن الذي لم يكن مستعدا له "**رايان الذي أكتله حيطان سجن لم يكن مهيئا له أبدا ولهذا كسره بقوة.**"[3]

إنّ هذا السجن الذي أُلقي فيه رايان هو دون شك مكان للإذلال والإحتقار والحط من قيمة الشّخص وذلك حينما يصبح شخص الإنسان مجرد رقم "**ما نعرفش رايان، لا حاجة لي بالأسماء أصلا، أعطيني رقمه أقول لك من؟**"[4]، فهنا يفقد الإنسان المثقف عزّته وكبريائه وإنسانيه وشخصيته وكرامته.

لكن على الرغم من كل شيء ظلّ في نفسية رايان بعض الأمل في أن يشمله العفو الرئاسي وأن يعيد بناء حياته "**كان ينتظر العفو الرئاسي بشغف ويفكر في إعادة بناء حياته من جديد، ولكنه لم يشمله، يقول إنه مظلوم ويبكي كثيرا، أصبح يخاف أن يصاب بالجنون**"[5]، بل ينتهي إلى الضياع بعد نشوب الحريق في السجن، وهروب البعض من السجناء وهو واحد منهم.

كان رايان واحد من ضحايا الحرب الصامتة التي أحرقت كل أحلامه ورمت به عرض الحائط ولم تبالي ولم ترأف بحاله ولا بكل طموحاته، "فالمحيط وحرب الموت هما من

---

[1]- المصدر نفسه، ص ٩٠.

[2]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٩١.

[3]- المصدر نفسه، ص ٨٧.

[4]- المصدر نفسه، ص ١٨٩.

[5]- المصدر نفسه، ص ٢٥١.

دمّرا رايان وجيله أيضا"[1] ليكون مصيره الاحتراق مثل "**فراشة ذهبت نحو النار بعينين مفتوحتين**"[2]، ويبقى مصيره مجهولا رهن الاحتمالات والتكهنات.

ح- فادي / فاوست:

هو **فادي** الملّقب بفاوست[*] إنّه مثال عن المبدع الفنان والمثقف الذي رمت به الأقدار لأن يهاجر الوطن هروبا من الموت الذي طال الأخضر واليابس فكان مصيره "**المنفى الذي قارب عشر سنوات**".[3]

كان فادي متخصصا في الرياضيات والفيزياء والكيمياء، ليدرس بعدها الطب، وينتقل في النهاية إلى المسرح الذي كان منقذه من "**التلف والعزلة وحتى الانتحار**"[4]، ويبدو واضحا أن المسرح جلب له شهرة كبيرة وهو الذي يتضح من خلال قول الساردة "**كان مشهورا ويعرفه كل الناس، الصحافة الوطنية والعربية والعالمية تتحدث عنه كثيرا وعن منجزاته المسرحية، فكل نصوصه لاقت رواجا مهما، وترجمت أعماله إلى أكثر من ثلاثين لغة عالمية**".[5]

---

(1)- المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(2)- المصدر نفسه، ص ٨٥.

(*)- فاوست: هو الشخصية الرئيسية في الحكاية الألمانية الشعبية عن الساحر والخيميائي الألماني الدكتور جورج فاوست الذي كان يسعى إلى اكتشاف الجوهر الحقيقي للحياة، والحصول على كل المعارف الإنسانية، ولكنه لم يستطع، ولما كان على مشارف الانتحار جاءه الشيطان ميفيستو فيليس واقترح عليه ميثاقا وهو أن يحقق له كل ما يريده، ولكنه في المقابل يشتري منه روحه، وربما لُقّب فادي بفاوست لأنه باع نفسه للدولة التي تعدّها الرواية هي الشيطان ميفيستو فيليس. (نقلا عن الرواية، ص ٣٨٨).

(3)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٢٦.

(4)- المصدر نفسه، ص ٤٧.

(5)- المصدر نفسه، ص ٣٨٧.

غير أن المثقف المبدع الذي يحمل مبادئ ويدافع عنها هو نفسه المثقف الذي وقع في شباك السلطة التي قامت باستدراجه لتتخذه قناعا تكتسب به مشروعيتها "**فاوست تلقى عرضا من وزارة الثقافة والسياحة التي ستقوم بتكريمه بمناسبة العرض المسرحي وعودته إلى وطنه نهائيا، يريدون أن يعيدوا له بعضا من كرامته**."[1]

ويبدو واضحا أنّ السلطة لا تعترف بمثقفيها إلا عندما يتعلق الأمر بمصالحها "**يستعملونه مثل الخرقة البالية ثم يرمونه**"[2]، يستعملونه ليلمعّوا سياستهم ويعطون إشارة لكل معارضهم بأن الحياة على هذه الأرض عادية ومطمئنة، وأنّها فوق ذلك تستعيد أبناءها المثقفين من منافيهم وتفتح لهم ذراعيها لتحضنهم، حتى وإن كانوا قد خاصموها وعارضوا سياستها، ونظام حكمها.

لسنوات كان فاوست منفيا ومغتربا عن وطنه وأرضه، ولأجل ذلك قرّر أن يعود إلى وطنه "**من أجل عرض مسرحيته التي كتبها هو بنفسه،وضع فيها جراحاته وجراحات وطنه وجيله**"[3]،لكن الحقيقة هي أن فاوست الذي "**كان موهوبا وبسيطا وكان مناضلا ونقابيا**"[4] لم يكن يعي أنّه وسط لعبة منظّمة ومفبركة من إخراج السلطة الفاشلة التي تركض بسرعة إلى من يبّر فشلها، فكان سبيلها وورقتها الرّابحة وهو الذي يتأكد من خلال الرواية "**هم في حاجة إلى من يبرر إخفاقهم في كل شيء، فكان مطيّتهم الجميلة**."[5]

ففي النهاية يبقى المبدع والكاتب المسرحي الشهير ليس سوى المثقف الذي استسلم لبهرجة السلطة، والمثقف الذي "جابوه باش يخدموا بيه"[6]، دون شيء آخر، لأنّ السلطة التي تكرّمه اليوم هي نفسها التي ستهينه في الغد، والسلطة التي تصفّق له اليوم

---

(1)- المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(2)- المصدر نفسه، ص ٤٣٩.

(3)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٥٥.

(4)- المصدر نفسه، ص ٤٤٠.

(5)- المصدر نفسه، ص ٤٤٠.

(6)- المصدر نفسه، ص ٤٩٦.

وتهتف عي التي ستُرديه قتيلا في الغد، فعلى كلٍّ طريق السلطة أبدا ما عرف الأمان، فيدٌ تصافح بها، والأخرى تطعن بها، والدّليل على ذلك أنها ستعيّنه "**مديرا للمسرح والأوبرا الوطنيين**"[1]، وما هذا المنصب الذي سيشغله فاوست سوى جواز سفر إلى موت أكيد "**ففي هذه البلاد كلما أرادوا أن يغتالوا فنانا أو كاتبا منحوه إدارة معقدة وأغرقوه في تسيير رواتب العمال وفي إضراباتهم الاجتماعية حتى يصبح مكروها عند الجميع وينتهي به الأمر إلى المرض والذبول ثم الموت البطيء**."[2]

فهذه هي السلطة وهذه هي سياستها تستعمل مثقفيها لتقضي مصالحها ثم ترمي بهم بعد ذلك في نهر الموت.

على هذا إذن كانت معانات الشخصيات المثقفة ومصائرها بدءً **بالزّبير** الذي تمّت تصفيته جسديا، مرورا إلى **فرجي** التي آلت إلى انفصام في الشخصية جرّها نحو الموت، ثم كوزيت التي تنكرّت لأهلها وبلدها، إلى **رايان** الذي انتهى هائما في المدينة، ثم حيث **ياما** التي خاب أملها في الذي كانت تنتظره وانتهاء **بفاوست** الذي اختار موته على يد السلطة، وكما تقول ياما: "**أعتقد أننا كلنا مجانين كل واحد بقدر ما، أبي كان مجنونا لأنه غادر الأمن الذي كان فيه وركض مثل الفراشة تماما نحو الموت، أمي كانت حرقتها أكبر فقد أشعلها عن آخرها رجل ميّت، جُنّت في عزلتها، حبيبي رايان ركض وراء الخيول فقتله حبّه لها (...) كوزيت تحوّلت إلى نفسها في عزلتها أضرمت النار في كل ما يحيط بها، المشكلة هي أن النّار مسّتها هي أيضا، فاوست حبيبي اختار موته بيده**."[3]

فليس المؤلم في مصائر الشخصيات المثقفة، ولكن المؤلم أنّها هي من ركضت نحو حتفها وهو ما تؤكده ياما "**ليس المزعج حرق الجناحين (...) ولكن أن تحرق جناحيك وأنت تركب بسعادة نحو حتفك وحبك للحياة، هذا ما يصعب تحمّله**."[4]

---

(1)- المصدر نفسه، ص ٤٤١.

(2)- المصدر نفسه، ص ٤٤١.

(3)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٤٨٨.

(4)- المصدر نفسه، ص ٤٨٧.

والحقيقة في كل ذلك هي أنّ المصير الذي لقيته كل الشخصيات المثقفة هو وبدون توريه "**المصير عينه الذي ينتظر كل فراشة تشتهي أن تسرق قليلا من شُعلة الحياة**."[١]

٤- المثقف وفساد السلطة:

كثيرا ما أثيرت قضية العلاقة بين المثقف والسلطة، ذلك أنهما يسيران في خطّين متوازيين لا يلتقيان أبدا، "**فالمثقف إما أن يكون مع السلطة أو ضدّها، فيصبح الموقف في العلاقة بينهما متأزما**."[٢]

ومن هنا صار لكل واحد منهما مسار مُغاير ومخالف للآخر لأنّ "**الرّفض والمعارضة هو الأكثر حضورا في مواقف المثقف تجاه السلطة**."[٣]

ولقد استطاع النص الروائي أن يرصد تلك العلاقة بين المثقف والسلطة منذ بداية الرواية حينما استلمت البطلة ياما التهديد من وزارة والصحة وقالت: "**التهديد نفسه، وزارة الصحة، آخر إنذار لفتح الصيدلية بعد شهرين، إذا لم تسوُّ وضعيتكم الإدارية سيتم سحب رخصة التسيير وتمنح لغيركم، وبرفقتها أربع صفحات من الجريدة الرسمية التي تذكّر بالقوانين بالقوانين المتبعة في حالة الغلق المستمر بلا سبب**"[٤]، فكانت هذه أول إشارة إلى العلاقة الصّدامية بين المثقف والسلطة، وأول إشارة أيضا إلى فساد المنظومة السلطوية وذلك حينما قالت: "**كنت متأكدة من أن الإدارة الذي صاغ الرسالة على مهل كان يقف على رأسه أحد أصدقائه الذي ينتظر منذ مدة طويلة أن يُمنح حق فتح صيدليته في مكاني**"[٥]، وما يؤكد أكثر فأكثر وجود الفساد هو قولها: "**بلادنا لا تسير بالقانون ولكن بالاستثناءات**."[٦]

---

[١]- المصدر نفسه، ص ٤٨٧.

[٢]- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص ٥٢.

[٣]- المرجع نفسه، ص ٥٢.

[٤]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٠-١١.

[٥]- المرجع نفسه، ص ١١.

[٦]- المرجع نفسه، ص ١١.

كما أنها تشير إلى وضاعة التغطية الحكومية، على الواقع وعلى أن الحرب الصّامتة قد انتهت وذلك بقولها: "**لا يتوقف المسئولون عن التّرديد أنها انتهت.**"[1]

ولأنّ الكتابة الروائية كانت ولا زالت وستبقى دائما وأبدا بحث عن الحقيقة وكشف للمستور خاصة وأنّنا نعيش في مرحلة تختبئ فيها الحقيقة وتُعتزل، الحقيقة في بلادنا هي ما لا يقال، الحقيقة هي المكبوت والمقموع والمُتستّر عليه، ولأجل ذلك وجب على المبدعين المثقفين أن يُفصحوا عن هذا المكبوت، فكان قلم واسيني باعتباره مثقفا بالدرجة الأولى الأكثر بوحا بالحقيقة فكانت أخطر حقيقة كشف عنها هل تلك التي كانت تختبئ داخل مخبر السلام الذي كان "**غطاءا لإنتاج المخدرات الاصطناعية التي يرسل بعضها للمستشفيات المتعاقدة معه لتخفيف آلام مرضى السرطان ويباع الباقي في الأسواق المحلية بكميات غريبة.**"[2]

إنّها الحقيقة التي اكتشفها الزيبر وهو شخصية مثقفة كان يشتغل في المخبر الوطني التّابع لشركة صيدال، ولأن المثقف "بمثابة مراقب واع وأمني على المصلحة العامة وعدم الإضرار بها من قبل المسؤولين"[3] فلقد استطاع **الزيبر** أن يكتشف اللّعبة المُفبركة، اكتشف أنّ هذه البلاد تسير "**نحو هلاك أكيد**"[4] ولأنه اكتشفهم فكان أن هددّوه، وطلبوا منه أن يترك نهائيا وظيفته، ولأنه رفض، فكان أن أحرقوا مخبر صيدال ومخزن الأدوية، وهنا يتجلّى بوضوح عنف السلطة وفسادها وخنقها للأصوات السّاعية إلى محاربة الفساد، وهو ما فعلته أيضا مع مدير صيدال السابق الذي أقالته "**وقادته إلى السجن على الرغم من أنه كان وراء إصلاحها ورفع أسهمها، بعد أن كانت قد وصلت إلى الحضيض.**"[5]

---

(1)- المرجع نفسه، ص ٥٤.

(2)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٦٥.

(3)- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص ٢٧٣.

(4)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٦٤.

(5)- المصدر نفسه، ص ٦٦.

ويبدو جليّا أن القمع هو الوسيلة الأكثر شيوعا لدى السلطة فهي "لا تخرج عن مفهوم الإخضاع والسيطرة، وتحقيق المصلحة الخاصة ونفي المصلحة العامة، مصلحة الشعب وسيلتها ومنطلقها واحد هو القوة".[(١)]

ولأنّ الزبير مثقف يناديه كيانه ووعيه إلى إحقاق الحق وكشف الفساد فقد صمّم على فضح مافيا الأدوية ومن كان وراء فعل الحرق الذي تسترّب عليه السلطة عن طريق وسائل الإعلام وقالت بأن السبب هو شرارة كهربائية، غير أن صديقه يحذّره من قوة السلطة قائلا له: "**يا عزيز الزبير، أنت تنطح حائطا صلبا، لا تلعب بحياتك (...) ما تعرف من وين تجيك الضربة**".[(٢)]

ولكن السلطة تفشل في استمالة المثقف وهو الذي يتجسّد في رفض الزبير الانصياع لها، والإصرار على فضح الفساد، وفضح اللعبة لكنه لم يكن يعلم أنّ كل من يخالف السلطة يكون مصيره عدم ممارسته لنشاطه على أقل تقدير أو التصفية الجسدية على أكثر تقدير، ولم يكن يعلم أنه "في حالة اتخاذ موقف لا يروق السلطة فإن عصاها غليضة لا ترحم، وليس له ضمان أو حقوق وعليه أن يصمت"[(٣)]، لم يكن يعلم أنه "**برفضه لكل العروض كان (...) يوقّع وثيقة اغتياله**"[(٤)] فكان مصيره أن نسفوا روحه بكاتم صوت و"**أخرجوه بصمت كبير**".[(٥)]

فمن هنا يتضح قمع السلطة للمثقف والذي تجلّى في إحراق مخبر صيدال، والذي نجم عنه فساد أخطر وهو الغش في الأدوية وهو الذي اكتشفته ياما الصيدلانية ابنة الزيبر حينما جرّبت التحليل هي وصديقتها على الكثير من الأدوية وتأكد لهما "**أن هناك غشاً**

---

(١)- الشريف حبيلة: الرواية والعنف، ص ١٦٥.

(٢)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٦٦.

(٣)- محمد حسن البرغثي: الثقافة العربية والعولمة (دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، لبنان، ٢٠٠٧، ص ١٤٩.

(٤)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٦٨.

(٥)- المصدر نفسه، ص ٦٧.

واضحا في الأدوية (...) اتضح لنا أن المرّكبات ليست دقيقة ومغشوشة بشكل كبير، "المولیكول" ليست بالعدد نفسه ولا بالقوة نفسها".[1]

ولأنّها مثقفة نزيهة فضميرها المهني يجعلها تدقق كثيرا في مصدر الأدوية لأن حياة الآخرين معلّقة على هذه الأدوية.

ثم ينتقل بنا الرّوائي نحو حقيق أخرى وفساد أخطر وهو التجارة بالأعضاء البشرية، وهي الحقيقة التي كانت مخبأة داخل المستشفى والسجن، وخوفا من انكشاف المستور لم تجد السلطة حلاّ سوى حرق المستشفى والسجن وهو الذي توضّحه الساردة "الحريق المزدوج لم يكن إلا عملية مدبّرة لتخبئة آثار الفضيحة التي بدأت رائحتها تشم من بعيد".[2]

والأمر الذي أكّد العملية نهائيا هو لّما جاءت امرأة بابنها الذي توفي بتفسّخ الجرح الذي يخطّ بطنه وأظهرت بأن ابنها "**أُخذت منه أجزاء حيوية من جسمه**"[3]، وهو ما أكّده الطبيب بأن الابن "**نزع منه كليته وطحاله وجزء من كبده**".[4]

ولكن هيهات لمن يقف في وجه السلطة، وهيهات لمن يقول كلاما غير الذي تقزله السلطة "ففي اليوم نفسه اندثرت الأم (...) واندثر الطبيب الذي أكد إجراء العملية الجراحية غير القانونية".[5]

إنّ الرّوائي يكتب وهو إذ يكتب فإنه ينتقد الواقع والحياة، وهو إذ ينتقد الواقع فهو يسعى لكشف الشرور والآثام، وكل أنواع الفساد لأن هذا الكشف هو يُظهر الحياة على حقيقتها، وما الفساد في البلديات والرّشوة سوى قضية أخرى وحقيقة أخرى عمل الرّوائي على كشفها في روايته وهو الذي يتضح في قول الساردة: "**أصبحت البلديات**

---

[1]- المصدر نفسه، ص ١٣٤.

[2]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٣٠٧.

[3]- المصدر نفسه،ص ٣٠٧.

[4]- المصدر نفسه،ص ٣٠٨.

[5]- المصدر نفسه،ص ٢٨٣.

مختصرا للبلاد والنّهب والهمجية (...) يريدون الرشوة"[1]، وكذلك قولها: "**كل الرّخص تكون قد وزّعت أو بالأحرى بيعت**"[2]، كما تشير الرواية أيضا إلى قضية البطالة "**قائمة المنتظرين والمتخرجين الجدد طويلة، بدأت تكبر وتتّسع حتى أصبح من المستحيل الاستجابة لكل الطلبات**."[3]

ويصوّر لنا واسيني فاجعة أخرى أكثر جرحا، وهو الفساد الذي لحق "صالة الأطلس" التي كانت "**قبلة كبار الفنانين وعُشّاق الفن السابع**"[4]، والوضعية التي آلت إليها حيث أصبحت "**ثقيلة ومتعبة، وفي أغلب الأوقات فارغة، ولكن أيضا حزينة**."[5]

إنّه لفساد فظيع هذا الذي لحق أكبر قاعة سينما في البلاد، وليس هذا فقط، بل يصّور لنا الروائي ذلك الخراب الذي لحقها نتيجة للإهمال، وعدم إصلاحها حيث يقول على لسان أحد الشخصيات: "**هل تتصورين أن الأغطية المعدنية من كُثرة إهمالها تصدّأت، وعندما رُممت الصالة عوّضوها بسقف إسمنتي ثابت**."[6]

كانت هذه حالة الفساد الذي لحقت قاعة الأطلس كواحدة من أكبر المعالم الثقافية، ونتيجة لهذا الإهمال "**للأسف فقدت روحها نهائيا**."[7]

بل إنّ قلم واسيني لم يتوقف عند هذه النقطة فحسب، بل واصل الكتابة مُتتبعا أثر الفساد الذي واصل مسيره ليشمل أيضا قطاع النظافة وكل الأماكن الأخرى "**في الإدارات البائسة، والحزينة، في البنوك المتخلّفة (...) في غرف الانتظار النتنة والمتّسخة التي تعبق بروائح من بقايا الجافيل الذي مسحت به العاملة الأرض بممسحة غاملة وقديمة وقاسية الرائحة**."[8]

---

(1)- المصدر نفسه، ص ٣٨٢.

(2)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٣٣.

(3)- المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(4)- المصدر نفسه، ص ٤٣٤.

(5)- المصدر نفسه، ص ٤٣٤.

(6)- المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

(7)- المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(8)- المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

ثمة فكرة رئيسية تستنتجها من خلال عرضنا لأنواع الفساد التي طرحها واسيني في روايته هي أن المثقف الذي يعيش في مجتمع مليء بالفساد وبكل أنواع: غش في الأدوية، وتجارة بالأعضاء البشرية، وفساد في البلديات، ورشوة، وبطالة...فهو يطالب السلطة أن تقضي على الفساد والفقر والبطالة، وأن تُرسي مبادئ العدالة والمساواة والأمن ولكنها لا تقوم بدورها ولأجل ذلك يعارضها، ويُكرّس كل طاقاته لكشفها وفضحها، ويسعى إلى التغيير، لكنّه في النهاية يعجز أمامها لا لشيء سوى أن "**السلطة هي وحدها من يملك السلاح لذا فإن صيد المثقف يغدو سهلا**"[1].

يعجز أمامها لأنّ القانون الذي يحمي المثقفين ويُؤمّن لهم حق التفكير والتعبير، ومن ثم التغيير، حقيقة غير موجود، وإن وجد فهو حبر على ورق، ويبقى المثقف "**في آخر الأمر فريسة النظام القائم ورهن إرادة السلطة المهيمنة**"[2]، رهن السلطة التي لا تتوانى عن قمعه إذا حاول أن يكشف أي نوع من الفساد.

وحيث تقوم السلطة على القمع "**لا يتحقق غير العقم، عُقم النظر، وعُقم العمل، وندخل فيما يُشبه الفاجعة**"[3]، بل القدر الأعمى،ففي الوقت الذي يسعى فيه المثقف لكشف الفساد، تُكرّس السلطة كل أجهزتها للتستّر على الفساد، وما التستّر على الفساد سوى فساد بعينه، بل إنّ السلطة في كل ذلك تقاتل الفساد بفساد أعظم وأفضع وتهتف يحيا العدل، بل تهتف "**يحيا بلد الشهداء**".[4]

٥- تهميش المثقف:

يُقال إنّ المثقفين يُسهمون في صنع العالم بأفكارهم الخلاّقة وبمفاهيمهم الخارقة، لأن الأفكار الخلاّقة والمفاهيم الخارقة لا جنسية لها، ويقال أيضا إنّ المثقفين يُسهمون في تغيير الواقع بأفكارهم بالذّات، إذ الأفكار ليست سوى علاقتنا بالواقع والحقيقة، فأبدا ما كان

---

[1]- عدنان الصائغ: المثقف والاغتيال، دار الفارس، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠، ص ٤٠١.

[2]- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص ١٤٤.

[3]- أدونيس: فاتحة النهايات القرن، ص ١٤١.

[4]- واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص ١٢٤.

قول الحقيقة نفيا لها بقدر ما كان تعرية للفساد وكشف لمواطن العطب قبل أن تفعل فعلتها وتطمس الإنسان والواقع.

تُرى هل استطاع المثقف في رواية مملكة الفراشة أن يقول الحقيقة، ويكشف المستور دون أن تطاله عصا السلطة ؟ هل استطاع المثقف أن يقوم بدوره التنويري والتوعوي دون قمع السلطة ؟ أم أن المثقف الذي يمتلك الأفكار الخلاّقة والمفاهيم الخارقة يكون مصيره الاستبعاد والإقصاء والتهميش ؟

حقيقة أثناء عرضنا لقضايا الفساد المطروحة في النص الروائي لاحظنا أنّ كل الذين كشفوا هذه الحقائق هم مثقفين الأمر الذي يُؤكد لنا أن المثقفين يسعون دائما الى كشف الأمراض الخبيثة في المجتمع واستئصالها، كما لاحظنا أن السلطة كانت في كل مرّة تتستّر على كل أنواع الفساد، وكانت في كل مرة تقمع كل من يحاول أن يقول الحقيقة، ويكشف المستور، وهي إذ تقمع المثقفين وتحول بينهم وبين أدوارهم فهي تهمّشهم إذن، وقد استطاع النص الروائي الإشارة إلى عنف السلطة تجاه المثقفين وإقصاءها لهم فالمثقف الذي نصّب نفسه ممثلا للمجتمع يكشف عنه داؤه ويقترح له الدواء، هو نفسه المثقف الذي تهمّشه السلطة، وتخنق له صوته، ولقدّم لنا الروائي شهادة تؤكد بشاعة القتل الذي مارسته السلطة وهي تسعى للحفاظ على استمرارها، حتى وإن أدّى بها ذلك إلى التضحية بخيرة مثقفيها بدءا بالزبير الذي كان "**لمعة مشعّة في الظلمات فحوّل إلى رماد**".[1]

وفوق ذلك تستّرب السلطة على موته وتقول إنّ "**الموت لم يكن بعيار ناري، ولكن بسكتة قلبية**"[2]، وهو الأمر الذي تفاجأت منه ابنته ياما بقولها: "**هل يمكن أن يكون الكذب الرسمي إلى هذا الحد؟ حتى في الكذب ليسوا أذكياء أبدا**"[3].

---

[1]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٢٣٨.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٢٢.

[3]- المصدر نفسه، ص ١٢٢.

بل بلغ بهم الأمر إلى تهديدها في حالة المخالفة بقولهم: "**القانون يعاقب من يقول حقيقة غير الحقيقة الحقيقيّة**"[(١)]، وهو الأمر الذي يتأكد في رؤية أدونيس إلى السلطة في الثقافة العربية بأنها "قوة إلزامية فوقية مُؤسّسة ومُحرّكة لجهاز قمعي عُنفي (...) غايتها السيطرة والتحكم (...) ورفض المخالفة"[(٢)]، وهنا يتضح فعل السلطة القمعي ورفضها لأي مخالفة لأنّ المخالفة تؤدي إلى أمور أخرى.

مرورا بمجموعة من المثقفين الذين طالتهم السلطة بيد من حديد ولم تتركهم إلا مسحوقين كالفخّار، وتبدّدت أرواحهم كالرّماد نتيجة لممارستهم لأعمالهم بدءا بـ"**الطبيب المختص في جراحة الأدمغة**"[(٣)] والذي جاء من أجل رئيس الدولة المريض، ثم اندثار "**الطبيب الذي أكد إجراء العملية الجراحية غير القانونية والذي كان في حوزته وثائق مورطة للكثيرين**"[(٤)]، ويليه قتل "**رئيس جمعية البحث عن المفقودين**"[(٥)]، ومن ثم **آخر رئيس لهذه البلاد انتخب ديمقراطيا وقتل مباشرة**."[(٦)]

فكل هذا يبيّن مدى قمع السلطة للمثقف وتهميشها له فكانت النتيجة أن هؤلاء المثقفين خسروا معركتهم معها، ودفعوا حياتهم ثمنا لذلك لا لشيء سوى أن حقيقة الجرائم البشعة والفساد تظل في هذه البلاد مُتسترة وراء الضباب، أما العقاب فيظهر للمثقفين أسرع من البرق في ظلمة الليل، وما هذا العقاب الذي لحق المثقفين سوى علامة على دورهم الإيجابي في حياة الناس وفعاليته في تكوين وعيهم، فلم يعد "**الموت للأدب، ولا للنقد، بل للمثقف أيضا**."[(٧)]

---

(١)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٢٣.

(٢)- غزالة شاقور: القارئ بين مركزية السلطة وهامشية الإبداع، قراءة في الخطاب النقدي الأدونيسي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة الأدب الجزائر، منشورات المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، العدد الثامن، ٢٠١٢، ص ٢٣٦.

(٣)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٦٦.

(٤)- المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٥)- المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٦)- المصدر نفسه، ص ٤٠٥.

(٧)- محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص ٢٨٧.

ويقدم لنا واسيني علامة أخرى على تهميش المثقف والعمل على إسكاته وذلك حينما فضحت الصحف ابن وزير الصحة الذي تبيّن أن لديه عشر صيدليات موزعة على كل الأماكن وبأسماء مختلفة، ولكن النتيجة كانت "**تقديم الصحف للامتثال أمام القضاء وتحمل كل التبعات القانونية للقذف الذي كانوا مصدر له**".[1]

كل هذا يجعل المثقف بين المطرقة والسّندان، لا يستطيع أن يعبّر عمّا يؤمن به، ولا يستطيع أن يكشف الحقائق دون خطر السجن أو القتل، فكل ذلك يجعله في حيرة، يتساءل حسب أدونيس "**في ذات نفسه بمرارة الخائب: كيف أكّر ؟ كيف أعمل؟ (...) بل كيف أقتنع أن لي وطنا، وأن لي فيه قدما حُرّة**".[2]

فالمثقف الذي نصّبته ثقافته ومبادئه ليكشف عن الحقائق المخفيّة هو نفسه المثقف الذي توجه له السلطة أصابع الاتهام وتدينه بتهمة القذف، وهو نفسه الذي تقول له "**عليك أن تصمت**".[3]

وكما تقول أحلام مستغانمي في روايتها ذاكرة الجسد "**يقضي الإنسان سنواته الأولى في تعلّم النُّطق، وتقضي الأنظمة العربية بقية عمره في تعليمه الصّمت**".[4]

فلا مناص إذن من أن المثقفين الذين حملوا بذور النقاء في أعماقهم واصطدموا بواقع كل ما فيه مزيّف فعجزوا عن تغييره، وتحولوا إلى مثقفين معزولين ومهمشين وغير معترف بهم، وهو ما تؤكده الرواية "**لا يعترفون بك في وطنك حتى لو كنت لمعة خارقة**".[5]

وهو تصريح بالوضعية التي آل إليها المثقف في بلد لا يُعبر لهذه الطبقة أيّ اهتمام وهو ما تؤكده السّاردة بتسائلها "**هل المثقف خضرة فوق طعام**".[6]

---

(1)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٣٣.

(2)- أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، ص ١٤٢.

(3)- المصدر السابق، ص ٣٠٦.

(4)- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط٢٣، ٢٠٠٨، ص ١٩.

(5)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٣٠١.

(6)- المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

فالوطن الذي كان يجب أن يكون فضاءً لتنافس مُثقفية على قيّم البناء والتفاني والعطاء أصبح بقدرة قادر وكرا للأنانية الزّائدة والتهميش الزّائد، وأصبح كلام المثقف هذيان، وأصبحت مبادئه، وأفكاره بضاعة كاسدة في سوق خالية من المُشترين وفي مجتمع لا يُعنى بمثقفيه، ولا يُقدّرهم، ولا يكلّف نفسه حتى حق تكريمه، وهو الذي تطرحه البطلة المثقفة: "**ماذا يكلّف دولة أن تُكّرم ابنها بشيء من التقدير والاحترام**."[1]

ويُعرّج بنا واسيني نحو حالة أخرى من التهميش التي كان على لسان (نور الدين) الفتى الذي التقته ياما في نهاية الرواية، وهو كا يقول: "**كاتب مسرحي فاشل على طول الخط**"[2]، ويُضيف توضيحا لحالة التهميش التي لحقته هو ورفاقه قائلا: "**كنت في المسرح الهاوي قبل أن تُحلّ فرقتنا (...) ونجد أنفسنا كل واحد في مكان**"[3]، والذي يؤكد أكثر حالة التهميش هو قوله: "**ضيّقوا علينا، لا قاعات، لا عروض حتى اختنقنا من تلقاء أنفسنا**."[4]

فأية سلطة هذه التي تخنق أبناءها المثقفين وتُهمّشهم بدل أن تتيح لهم فرصة إصلاح البلاد، ويعلّمون الأمة التعيسة أن تبتسم لنور الشمس، وتفرح بمواهب مثقفيها الذين يمجدّون المعرفة والحياة والحرية والتغيير، ولكن باطلا كان المثقف يسعى لأن الغشاوة الكثيفة التي حاكها الزمن على بصر السلطة لا تمزّقها أية قوة، فالسلطة التي كان يجب أن تعتزّ بالمثقفين هي نفسها التي تُطلق عليهم النار دون أن يتمكنوا من حق الرد، وهو الذي يتضح في قول (نور الدين): "**لا توجد رقابة رسمية في بلادنا، ولكنها الرقابة الصامتة التي تطلق عليك النار دون أن تتمكن من الرّد عليها، الرقابة الأكثر تخلّفا وبؤسا**"[5]، بل إنّها الرّقابة التي تَزْجَرُ في وجه المثقف فينحني صامتا، الرّقابة التي حوّلته إلى آلة عمياء فاقدة للحس والقوة.

---

[1]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٢٩٨.

[2]- المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

[3]- المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

[4]- المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

[5]- المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

فما أصعب أن يجد المثقف نفسه مهمشا منفيا في وطنه، وما أتعس المثقف الذي يجد نفسه مقتولا في حياته ووطنه، لا لشيء سوى أنّه "صار بعيش موت الأحلام وبلادة التفكير، والعجز على تحريك أي إحساس فصار أصم، أبكم، أخرس، كأنها نهاية العالم، وكأن التاريخ توقف." [1]

ولعلّ هذا التهميش الذي كان من نصيب المثقفين هو الذي ساهم في هجرة البعض وخروجهم من البلاد، وهي حالة فادي الذي قضى عشر سنوات في المنفى وهو في كل ذلك يُحمّل السلطة وزر مصيره ومنفاه وذلك في قوله: "**أبناء الكلبة الذين سرقوا حقّي في أن أكون كما أن في وطني وتربتي**." [2]

فباطلة هي السلطة التي تُهمّش مثقفيها، ومُزيّفة وكاذبة السلطة التي تقود مثقفيها إلى المنفى، والى العزلة واليأس والشقاء، لأن واجب المثقف هو أن يكون سعيدا على الأرض، وأن يُعلّم سُبل السعادة ويهدي المجتمع إلى طريق النّور.

لقد شاء واسيني أن يصور لنا المثقف الذي دفع حياته ثمنا لنزاهته، وصوّر لنا المثقف المنفى، والمثقف المُهمّش، وكلّهم مثقفون تحطمّت طموحاتهم على أيدي السلطة، وهو ما يُفسّر ما "**آل إليه وضع المثقفين من العجز والإحباط والهامشية**." [3]

فالمثقف الذي كان بالأمس يُحسن صنع الحلول للأزمات، بات اليوم هو نفسه في أزمة نتيجة لتهميشه، ولعلّ هذا الاستبعاد والتهميش هو ما "ساهم في تشكل الصورة الذي عُرفت عن المثقف العربي بأنه يعيش حالة من العزلة والانزواء في برج عاجي." [4]

حقيقة صدقت أحلام مستغانمي في روايتها الأسود يليق لّما قالت: "**وحده البحر يسمع أنين الحيتان في المحيطات**" [5]، فكذلك الحال في روية مملكة الفراشة فوحده الوطن

---

[1]- البشير العربي: المثقف العربي الإسلامي بين ثقافة السلم وثقافة الحرب، ص ١٣٨.

[2]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٣٠٢.

[3]- حفناوي رشيد بعلي: قراءة في نصوص الحداثة وما بعد الحداثة، ص ٢٢٣.

[4]- محمد حسن البرغثي: الثقافة العربية والعولمة، ص ١٥٠.

[5]- **أحلام مستغانمي: الأسود يليق بك، دار العزة والكرامة للكتاب، بيروت، لبنان، ٢٠١٢، ص ١٣.**

يستطيع سماع أنين المثقفين المقتولين والمنفيّين والمهمشّين، فلا أفقر من وطن لا مثقفين فيه.

٦- المثقف والعالم الافتراضي (الفيسبوك):

يُعدّثُ الفيسبوك أحد أهم المواقع الافتراضية أو لِنَقُلْ التخييلية التي نشأت على الأنترنت والذي يحوي الملايين من المشتركين من مختلف بقاع العالم، ولقد تم "إنشاء الفيسبوك في ٤ فبراير ٢٠٠٤ على يد Mark Zurkerberg حين كان طالبا بجامعة Harvard الأمريكية، كان هدفه إقامة شبكات تضم طلبة الجامعة في موقع واحد، وسرعان ما انتشرت أصداء الفكرة في جامعات أخرى (...) وبعد حوالي شهر واحد من إنشاءه كان أكثر من نصف طلبة الجامعة لديهم عضوية على الفيسبوك، وبداية من ٢٠٠٧/٠٩/١١ أتيح لأي فرد في العالم لديه بريد الالكتروني أن يقوم بعمل عضوية به."[(١)]

إنّه عالم تخييلي بحق فالجميع يمكن أن يكون كما أراد أن يكون ويمكنه أن ينتحل أيّ شخصيات أخرى إن شاء ذلك، كما يُسمح له بالتعبير عما يريد، وفي أي موضوع يريد.

ولقد وظّف الروائي واسيني الأعرج الفيسبوك كواحد من الحلول والتي لجأ إليها الجيل الثالث كمُنقذ من حالة العزلة والانطواء والخوف التي سكنت نفوس الأفراد بعد الحرب الأهلية في الجزائر كل هذا تُجسدّه البطلة المثقفة **ياما** التي لم تجد من بديل عن الواقع المرفوض سوى هذه المملكة الزرقاء تقول: "**أنا لا أملك الأسلحة الجبّارة التي أقاوم بها خوفي ووحدتي إلاّ هذه المملكة الزرقاء التي تسمى الفيسبوك**."[(٢)]

الأمر الذي يجعل الفيسبوك بمثابة متنفّس لها للهروب من حالة الإحباط والعزلة، غير أن هذا الهروب يتطور ليكون سببا في نشوء علاقة غرامية بينها وبين الكاتب المسرحي (فاوست/ فادي) تقول: "**عندما التقيت بفاوست كنت كمن التصقت بقشة كان**

---

(١)- أحمد مجدي حجازي: إشكاليات الثقافة والمثقف في عصر عولمة، دار قباء الحديث، ٢٠٠٨، ص ١٧٩.

(٢)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٢٤.

في حاجة كبيرة إليها لتفادي الطوفان الجارف"[1]، فكان أن التصقت به حيث دامت علاقتها به "ثلاث سنوات وعشرة أشهر، وتسعة وعشرون يوما وست ساعات وأربع وخمسون ثانية"[2]، كانت في هذه السنوات تبني قصورا رملية وتعلّق آمالا وهمية، كانت فقط تتراسل معه في هذه المساحة الزرقاء المتوفرة "مساحتنا الوحيدة والمشتركة للاتصال هي الفيسبوك ولا شيء آخر غير الفيسبوك"[3]، وعندما تنتهي من التواصل عبر الفيسبوك تشرع في كتابة رسائلها الغرامية التي بلغت ٧٧٧ رسالة دون أن تبعث بها، لتغفو بعد ذلك على سريرها وكلّها أمل في عودته وتجسيد حلمها على أرض الواضع، ولكن هيهات فما بُنِي على باطل فهو باطل ويستحيل أن يتحول إلى حقيقة.

ويعكس لنا واسيني زيف العلاقات الفايسبوكية التي هي أشبه بحفلة تنكرية، يرتدي الكل أزياء تنكرية يُخفون وراءها شخصياتهم وهويّاتهم ويصطنعون بأسماء وهويات أخرى مستعارة، وهو الذي توضحه الرواية "نساء الفيسبوك مثل رجاله افتراضيون (...) علامات وألوان لا أكثر"[4]، إنّه حلم جميل نامت عليه ياما لتستيقظ على كابوس مرعب وتكتشف خيبتها الكبرى في انتظارها وفي أمانيها، وفي الرّجل الذي عاشت طوال ثلاث سنوات ترسم خطوط وجهه، وتُعدّل طوله وشكله وعاداته، وتحلم بما يمكن أن يمنح لها من حب وبهاء، كل هذا اكتشفته يوم العرض المسرحي، حين وقفت أمام فاوست الحقيقي الذي يعترف لها بأنّه ليس الشخص المقصود، وأنّ كل ما يقال في صفحة الفايسبوك هو من تأليف أحد أقربائه والذي كلّفته زوجة فاوست بنقل أخباره والرّد على معجبيه ومعجباته، وغيرهم من الذين يهتمون بنشاطاته الإبداعية، ويضيف لها قائلا: " للفيسبوك أصحابه، من لهم بعض الوقت قليلا"[5]. فكانت هذه الصّاعقة التي تهوي على رأس ياما التي شعرت بأن العالم كله دار في ثانية أمامها.

---

(1)- المصدر نفسه، ص ٣٧٥.

(2)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٤٨٣.

(3)- المصدر نفسه، ص ١٠١.

(4)- المصدر نفسه، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(5)- المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

فكانت هذه الحقيقة التي انتهت إليها **ياما** المثقفة، وكانت هذه الحقيقة التي أراد أن يكشفها واسيني كونه مثقفا يسعى لكشف خفايا الأمور، ومن بينها الفيسبوك "فعندما ينتهي الإبحار من عالم الفيسبوك ويعود كل فرد إلى طبيعته يصطدم بالعالم الواقعي والذي كان يختلف تماما عن العالم الذي كان يحياه (...) تحدث لديه فجوة بين عالمه الافتراضي وعالمه الواقعي."[1]

فيجد نفسه مخدوعا ذليلا، وكان ضحية لُعبة كان هو من اقترافها، فالفيسبوك في النهاية ليس "**أكثر من لغة هاربة اقترفتها الأقدر ذات ليلة مقمرة، ولم تفكر في مخاطره، كلما اقتربنا منها اكتشفنا كم هي وهم جميل، وكلّما اجتهدنا في تحويها إلى حقيقة زاد غبننا وانسحابها**"[2]، وصدق أدونيس حين قال مرّة "**إننا ندخل في لعبة لا يعرف أحد مكانها وال حتى اتجاهها، لنكتشف في النهاية وطبعا بعد فوات الأوان أننا كُنَّا نكرِّر خطواتنا، ونحسب أنّ هذا التكرار هو سير إلى الأمام**."[3]

والواضح أن هذه الخديعة التي اكتشفتها ياما ليست هي الوحيدة، بل إنها تلّقت خديعة أولى كانت في اكتشافها أن حبيبها المثقف المبدع الذي كان يرفض السلطة وأجهزتها، ويرفض سياستها والذي كثيرا ما تحدّثا عنه في حواراتهما الفايسبوكية تجده ليس سوى دمية تتلاعب بها أيدي السلطة كما تشاء، وعلى رأسها وزارة الثقافة كجهة رسمية لتبرير فشلها وتلميع سلطتها.

فكانت هذه خيبات المثقفة **ياما**، وكان هذا الخداع الكبير الذي عاشته في دهاليز الفيسبوك، بعد أن اكتشفت أن "**مآل الحب الكبير الخسارات الكبيرة أيضا**."[4]

فمأساوية هي قصة **ياما**، فشلت في حُبّها الأول الذي كان واقعيّا، وهربت نحو الخيال، هربت من حب افترسته الحرب الصّامتة، وركضت نحو حب افترسها في النهاية،

---

[1]- أحمد مجدي حجازي: إشكاليات الثقافة والمثقف في عصر العولمة، ص ٣١٧.

[2]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٧٥.

[3]- أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، ص ١٤١.

[4]- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٩٥.

لكنها بالرغم من ذلك كانت تسعى وراءه هربا من فشل حب سابق، هربت من حريق شبّ في حُبّها الأول وألقت بنفسها في مملكتها الزرقاء، كان همّها أن لا تموت حرقا وأن تنجو من ألسنة النار التي تشبّ في حبها الأول، ولم تنتبه لحظتها إلى ما ينتظرها في المملكة الزرقاء، وهي تُلقي بنفسها إلى المجهول، وكأنها لا تدرك بأنّ ما نفشل فيه في الواقع لن ننجح فيه في الخيال والافتراض.

إنّ توظيف واسيني للفيسبوك ليس اعتباطا بقدر ما هو كشف لحقيقة هذا الموقع وغيره من المواقع الاجتماعية الأخرى بقوله: "**لم يكن الفيسبوك وبقية المواقع الاجتماعية إلا مضيعة للوقت**"[1]، إنّه ملجأ كل المتواصلين الذي يُحوّلون الأوهام إلى حقائق يُعوّضون بها خساراتهم وخيباتهم، وكل ما لم يتمكّنوا من تحقيقه في العالم الواقعي "**مملكة زوكير بيرغ مُجهّزة بكل وسائط الدّفاع التي تفصلنا في أية لحظة عن محيطنا الذي لا نريده.**"[2]

والحقّ أن **ياما** كمثقفة إذ تعرض لنا خيبتها فهي تعرض لنا خيبات كل المتواصلين على هذا الموقع، ولكي تكون عبرة لكل الذين يهربون إلى خيمة الفيسبوك، خيمة الخداع والنفاق.

ولأنّ واسيني مثقف فقد حاز في نفسه أن يرى أبناء مجتمعه يركضون نحو الهلاك، فلم يسعه ذلك أن يبقى مكتوف الأيدي دون فعل أي شيء ولأنّ قوته تكمن في لغته فلقد جعل لغته سلاحا ناشدا للتغيير وإصلاح النفوس ومداواتها من الجروح التي اكتوت بها، وهنا يحضر الإبداع ليعلن أنه الدّواء لجراحات النفوس، وترميم خرائبها، ويمنحها الشفاء والقدرة على المواصلة.

فالبطلة المثقفة على الرغم من خيباتها المتوالية إلاّ أنّه في داخلها قوة استثنائية وطاقة كبيرة للمواصلة في حب الحياة، بعد أن أدركت عقم التجربة الفيسبوكية فبعثت

(1)- **واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ١٥٣.**

(2)- **المصدر نفسه، ص ٣٢٥.**

بفاوست إلى جحيم المملكة الزرقاء تقول: "**محوته في اللحظة نفسها من كل عناويني وبعثت به إلى فراغات جحيم زوكير بيرغ**"[1]، **وليس هذا فحسب بل إنّها أحرقت رسائلها الـ (٧٧٧) التي كانت ستُسلّمها لحبيبها في لقاءهما الأول،** "**تذكّرت مخطوطة ٧٧٧ رسالة (...) ثم وبلا تردد رميتها في عمق النار، وقفت بجانبها حتى امتدت ألسنة اللّهب إلى المخطوطة فصعدت منها أدخنة سوداء ورماد كثيف، وعندما مسَّت النار الحروف الخبيثة بدأت تصفو وتتحول الى شعلات زرقاء وصفراء وحمراء، شعرت بخفة في وزنه وروحي وثقل كل ما كان يحيط بي**"[2]، إنّها وسط كل ذلك مجروحة ومتعبة، ولكن القوة التي بداخلها تجعلها تتفاءل تقول: "**متعبة ولكني مع ذلك ممتلئة بنور الحياة**."[3]

والدّليل على ذلك هو قبولها دعوة الفرقة الموسيقية التي تنتمي إليها للذهاب إلى جنوب إفريقيا للمشاركة في تظاهرة ثقافية، وكذلك تضامنا معهم حيث تبرّعت لهم بمبلغ مالي على الرّغم من الصعوبات المالية التي تعاني منها.

فوحده الأمل هو الذي يجعل الناس يستمرّون في الحياة ولولاه لضاقت الدنيا بهم وكما تقول البطلة: "**يجب أن نستمر في الحياة ونشعر أن ما يحيط بنا يستحق أن يعاش**"[4] لتُعطي بذلك الأمل في قدرة الأشخاص على تجاوز ما مرَّ بهم من محن إن توفّر لديهم طبعا الأمل والاستعداد والمواصلة، لأن الأمل هو الذي يقف في وجه اليأس، ويعترض سبيله قبل أن يتسرّب إلى قلوب الناس، فلو تسرّب لضاقت بهم هذه الحياة وصارت عبئا ثقيلا على عواتقهم.

وخلاصة القول أن واسيني استطاع بعبقريته المُتفتّقة، ولغته الحميميّة أن يرصد لنا قضية أخرى من القضايا المعاصرة وهي **الفيسبوك** كاشفا بذلك عن الزيّف والخداع المخفي داخله، حيث جاء ذلك في تجربة **ياما** المثقفة وعلى لسانها، ساعيا إلى أن يقلّل من

---

(١)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص ٤٨٨.

(٢)- المصدر نفسه، ص ٤٩٦.

(٣)- المصدر نفسه، ص ٢٨٩.

(٤)- المصدر نفسه، ص ٣٧١.

حجم هذه الآفة العصرية التي استولت على العقول والنفوس، وفي نفس الوقت ليطرح الأمل في النفوس لمعانقة فجر جديد، ففي النهاية وكما يقول أدونيس: "**الدُّخان الذي يتصاعد من حرائقنا هو نفسه الذي يُطرّر الأفق من التلوث والعفونة**."[١]

ويبقى المثقف في خضم كل ذلك يحلم بواقع جديد يحمل في طيّاته النور، يتجاوز العوالم المعتمة نحو عوالم مضيئة ومنشودة.

---

[١]- أدونيس: فاتحو النهايات القرن، ص ١٥٨.

الخاتمة

من المفيد في ختام هذه الدراسة أن نُسجّل أهم الملاحظات التي توصلنا إليها بعد دراستنا لصورة المثقف في رواية مملكة الفراشة وهي كالآتي:

١- إن الثقافة والمثقف من المصطلحات التي يصعب تعريف واحد لها، ولكن الأهم في كل ذلك هو أن الثقافة التي تحيط بالمثقف هي إحدى دعائم بناء الموقف لديه كما أنّ هناك علاقة تأثير متبادل فيما بينهما، ذلك أنّ المثقف يتأثر بالثقافة التي يتفاعل معها، وهو بدوره يؤثر فيها بإبداعاته الفكرية ونشاطاته العلمية، وكلّما ارتفع مستوى المثقف وازداد عطاؤه وإبداعه الفكري، وساهم مساهمة فعّالة في تطوير ثقافته كلما ازداد تقدم المجتمع، والمثقف الحقيقي هو الذي يُكرّس كل طاقاته المعرفية والثقافية في التعبير عن هموم ومصالح مجتمعه، ويعبّر عن كل ذلك بشكل واع ودقيق.

٢- المثقف الإيجابي والمتميّز هو المثقف العضوي الذي يُعنى بنقد الواقع ويُحسّ بقيمة الإنسان ويتفاعل مع قضاياه الحقوقية، ويتبنّى في مطلبه الحرية ويناشد التغيير.

٣- يكمن دور المثقف في رصد واقع المجتمع الذي ينتمي إليه، والتعبير عن كل آلامه وهمومه ويسعى إلى إخراجه من دهاليز الظلم والفساد والبؤس والشقاء وهو في كل ذلك يطمح إلى التغيير.

٤- استطاع المثقف الروائي أن يرصد لنا واقع المجتمع الجزائري بعد الحرب الأهلية وما آل إليه الوطن والمواطنين من تمزّق وانكسار.

٥- قدّم لنا النص الروائي مجموعة من الشخصيات المثقفة والأزمات التي مرّت بها وكيف عاشت كل شخصية من هذه الشخوص حالات الإنكسار والخيبات، وكيف حاولت كل منها أن تُجرّب حالة من حالات المقاومة المُتاحة والممكنة، وهو الأمر الذي دفع بها إلى الهروب من واقعها يوفر لها الأمان والاستقرار، وكيف كانت النهاية المأساوية لكل شخصية.

٦- أظهرت الرواية أن أشد ما يؤرق المثقف هو أن يرى من حوله فسادا وإفسادا في مجتمع يشتاق إلى رؤيته حُرّا جميلا دائما، خاليا من أنواع الفساد وأسباب الشقاء والبؤس

والظلم، وهو ما يتضح من خلال موقفه من السلطة والذي يتسم بالرفض والمعارضة، حيث سعى إلى كشف كل أنواع الفساد، ولكن تبقى السلطة في كل ذلك تعارضه وتقمعه ولا ترى فيه إلا فردا خارجا عن القانون مصيره السجن أو القتل بعد أن فشلت في استمالته.

٧- رصدت الرواية تلك الحالة من التهميش التي كانت مصير المثقفين وكيف سعت السلطة إلى إسكاتهم وقطع الطريق عليهم في ممارسة أدوارهم وكيف أنّها تستعملهم فقط لخدمة مصالحها ثم ترمي بهم.

٨- يكشف النص الروائي عن قضية أخرى وهي العزلة التي انتهى إليها المثقفون الأمر الذي أدّى بهم إلى الهروب إلى عوالم افتراضية كان أخطرها الفيسبوك، حيث عمل الروائي باعتباره مثقفا على فضح وكشف زيف هذا الموقع هو في ذلك ينشد إصلاح النفوس وتوعيتها من مخاطر الوقوع في مصيدة الفيسبوك.

٩- إنّ الرواية بانوراما عريضة لجوانب من الصّراع في مدينة منقسمة شمالا وجنوبا، إنها حكاية الحرب الصامتة التي دمرت الوطن، وأفقدته مثقفيه ومعالمه الإنسانية، فالرواية ليست صورة للواقع الجزائري فحسب بل هي صورة للمثقف في هذا الواقع أيضا.

١٠-يمثل المثقف في الرواية نموذجا للمثقف في قضية "دريفوس" وذلك من خلال رفضه الظلم ومحاولته تغيير الواقع.

١١-إنّ الروائي مثقف ينسج عمله من الكلمات والحروف فكانت اللغة التي بثّها في روايته هي دون شك لغة ناصعة غنيّة بالأضواء والضلال، ويحاول من خلالها أن يكون نافذة النور المفتوحة على عقول أبناء مجتمعه، وأن يكون الإحساس المتدفق في قلوبهم، ويخرجهم من ذلك الفساد والظلم والخوف والبؤس ويأخذهم إلى عالم بعيد حيث النّقاء والإصلاح والتغيير من أجل مجتمع ومستقبل أفضل.

المصادر والمراجع

- **قائمة المصادر:**

١. القرآن الكريم.

٢. واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، دار صادر للصحافة والنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الاولى، ٢٠١٣.

٣. احلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب بيروت، لبنان، ط٢٣، ٢٠٠٨.

٤. احلام مستغانمي: الاسود يليق بك، دار العز والكرامة للكتاب، بيروت، لبنان، ٢٠١٢.

- **قائمة المراجع:**

١. آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١١.

٢. آسيا جريوي: سيمائية الشخصية الحكائية في رواية الذئب الأسود للكاتب: حنّا مينا، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، منشورات المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٠.

٣. محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠.

٤. إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:١، ٢٠١٠.

٥. محمود محمد أملودة: تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث (الرواية الليبية أنموذجا دراسة في النقد الثقافي)، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط١، ١٤٣١-٢٠١٠.

٦. حسن أحمد علي الأشلم: الشخصية الروائية عند خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العام، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦.

٧. علجية مودع: هامشية المثقف ورهانات السلطة قراءة في مشروع "الطاهر وطار" الروائي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة الأدب الجزائري، دار الهدى، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٠.

٨. صلاح جرار: المثقف والتغيير قراءات في المشهد الثقافي المعاصر، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

٩. إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربية المعاصر (عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن- فرجينيا، ط١، ـ٢٠٠٨م.
١٠. كريم زكي حسان الدين: اللغة والثقافة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠١.
١١. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (ثقف)، مج٩، ط٣، ١٩٩٤م.
١٢. محمد ابن يعقوب ابن محمد إبراهيم ابن عمر الشرازي مجد الدين أبو طاهر الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، مادة (ثقف)، مج١، ط١، ١٩٩٩م.
١٣. محمد شوقي الزين: الذات والأخر (تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع)، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠م.
١٤. حبيب يوسف مغنية: في الأدب الحديث والثقافة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠.
١٥. البشير العربي: المثقف العربي الإسلامي بين ثقافة السلم وثقافة الحرب، دار نهى، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠٠٦.
١٦. أحمد مجدي حجازي: إشكاليات الثقافة والمثقف في عصر عولمة، دار قباء الحديث، ٢٠٠٨.
١٧. عدنان الصائغ: المثقف والاغتيال، دار الفارس، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٠.
١٨. غزالة شاقور: القارئ بين مركزية السلطة وهامشية الإبداع، قراءة في الخطاب النقدي الأدونيسي، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة الأدب الجزائر، منشورات المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن، ٢٠١٢.
١٩. حفناوي رشيد بعلي: قراءة في نصوص الحداثة وما بعد الحداثة، دروب للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١١.
٢٠. أدونيس: فاتحة لنهايات القرن، دار التكوين للتأليف والنشر والطباعة، دمشق-سوريا، ط٣، ٢٠١٠.
٢١. حبيب يوسف مغنية: في الأدب الحديث والثقافة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠.
٢٢. أحمد بن نعمان: هذه هي الثقافة، شركة دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، دون طبعة، دون سنة.
٢٣. حمد حسن البرغثي: الثقافة العربية والعولمة (دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

الفهرس